جامعة الشهيد حمّ لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

دور الحركة الثقافية بتونس في عملية التحرير الوطني 1900-1956م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين:

– عبد المالك خلايفة

– الطيب غمام عمارة

الأستاذ المشرف:

د. رشيد قسيبة

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الصّفة	الجامعة
01	أ.د– محمد السعيد عقيب	رئيسا	جامعة الشهيد حمّ لخضر الوادي
02	د– رشيد قسيبة	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمّ لخضر الوادي
03	د– رضوان شافو	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمّ لخضر الوادي

السنة الجامعية: 1437–1438هـ/ 2016–2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك

إهـــــداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- الوالدين الكريمين حبا وإكراما وعرفانا وقربا من الله .
- رفيقة الدرب، وأبنائنا، وإخوتنا وأخواتنا، وجميع الأهل والأقارب كل باسمه.
- أرواح أجدادنا، ومن لهم فضل علينا .
- كل عمال ابتدائية خطاب عبد الكريم 02 ح خ.
- كافة الطاقم المشرف على قسم التاريخ بجامعة حمه لخضر.
- جميع الأصدقاء والزملاء ومن سررنا بمعرفتهم في الحياة الجامعية والمهنية..
- أرواح الشهداء ببلدان المغرب العربي الذين ضحوا بحياتهم من أجل الاستقلال والحرية.
- إلى بلاد العلماء والأولياء والشهداء، الجزائر الحبيبة

عبد المالك خلايفة

الطيب غمام عمارة

شكـــر وتقديـــر

نتقدم بالشكر أوفاه و أجزله، و الوفاء أخلصه، والفضل أكبره، والعرفان كله لأستاذنا الفاضل الدكتور قسيبة رشيد الذي تفضل بمهمة الإشراف على هذه المذكرة فكان معنا بعلمه وجهده ونصائحه القيمة التي لم يبخل بها علينا يوما، مما كان لنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته أبلغ الأثر والفضل في إنجاز هذا البحث، و إننا ندعو الله عز وجل أن يجزيه عنا خيرا، ويبارك له في علمه وصحته وعائلته ويمده بعمر مديد لخدمة أمته.

الطيب غماد عمارة

عبد المالك خلايفة

قائمة المختصرات

العربيـــة

د.ن: دون ناشر

د.ت: دون تاريخ

ج: الجـــزء

تر: ترجمة

تع: تعريب

تق: تقديم

ط: طبعة

ص: صفحة

تح: تحقيق

الأجنبيـة

p: page

المقدمـــــــــــة

فرضت الحماية الفرنسية على تونس 12 ماي 1881م، وكان الشعب التونسي كغيره من شعوب أقطار المغرب العربي حيث بدأ كفاحه بالكفاح المسلح (المقاومة الشعبية) منذ بداية الحماية حتى سنة 1884م، وفي أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م بدأ الكفاح السياسي معتمدا في جانبه الكبير على المثقفين من طلبة وخريجي جامع الزيتونة، الذين أسسوا العديد من الجمعيات وأصدروا الصحف، كما ساهمت الأوضاع الداخلية التي جاءت نتيجة السياسة الفرنسية، والأوضاع الخارجية المتمثلة في التفاعل مع الحركة الإصلاحية في المشرق العربي، في تطوير وإنضاج الوعي الوطني الثقافي.

حمل لواء النضال التونسي في البداية واجهات ثقافية ودينية، أو ما يعرف بالحركة الثقافية التي شملت الهيئات الدينية كجامع الزيتونة الأعظم، والجمعيات والصحف، والمدارس كالمدرسة الصادقية، والجمعية الخلدونية، فضلا عن عدد من الصحف، حيث سخرت جهودها ومقالاتها لتثقيف الشعب التونسي، وتوعيته، وكان لتلك الجهود الدور الكبير في تخرج العديد من التلاميذ الذين أسهموا في خدمة قضية بلادهم، مع ظهور عدد من التنظيمات السياسية والنقابية.

وبناء على ما سبق، وإيمانا منا بضرورة تسليط الضوء على هذا الجانب الثقافي المهم، الذي لم يشهد مواضيع تخصه بدراسة تشمل عامة جزئياته، بل أغلب الدراسات كانت في الشأن السياسي أو الكفاح المسلح، ومن هنا تبلورت لدينا أفكار الرغبة والبحث في الموضوع الموسوم بـ : **دور الحركة الثقافية بتونس في عملية التحرير الوطني (1900-1956م).**

*** أسباب اختيار الموضوع:**

ومن الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع ما يلي:

-الرغبة في معرفة تاريخ أقطار المغرب العربي على غرار الجزائر وكانت تونس الأقرب.

-التعريف بنضالات الحركة الثقافية بتونس وأبرز أعلامها.

-الرغبة الملحة في إثراء المكتبة والخزانة العلمية الجزائرية والمغاربية والتونسية بهذا المصنف المدرج ضمن المجال التاريخي المعاصر.

-الوقوف على دراسة مسارات المجال الثقافي، وأدوارها البارزة في النضال والكفاح وتحقيق التحرر في تونس كنموذج متميز في المغرب العربي والعالم الإسلامي.

-التعريف بالمؤسسات الدينية والتعليمية والحركة الأدبية والفكرية والفنية وروادها، وآليات التعبير المستعملة، كالصحف والجرائد والتكتلات المغاربية في الخارج، بأسس ثقافية علمية، ودورها في تحرير تونس كنموذج من دول المغرب العربي.

-معرفة الطرق والوسائل الثقافية التي واجه بها الشعب التونسي نظام الحماية الفرنسية.

*** حدود الدراسة:**

يمتد موضوع الدراسة من سنة 1900م إلى سنة 1956م، وأثناء معالجته وجدنا له خلفية تاريخية تبدأ من فشل المقاومة الشعبية المسلحة، ونمو بوادر الوعي الثقافي الوطني وإنشاء مؤسسات تعليمية وطنية وأجنبية مع نهاية القرن التاسع عشر، كإنشاء المدرسة الصادقية عام 1875م، والجمعية الخلدونية 1896م...

*** إشكالية الدراسة:**

لقد عالجنا في هذه الدراسة قضية الحركة الثقافية ودورها في عملية التحرير الوطني بتونس خلال الفترة (1900-1956م)، ومن هذا المنطلق نحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

ماهو دور الحركة الثقافية بتونس في عملية التحرير الوطني في الفترة (1900-1956م)؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية نطرح بعض التساؤلات الفرعية الآتية:

*ما هو الواقع السياسي والثقافي بتونس مطلع القرن 20م؟

*كيف ساهمت الهيئات الدينية والمؤسسات التعليمية التونسية في عملية التحرير الوطني؟

*ما مدى مساهمت الحركة الأدبية والفكرية بتونس في التحرير الوطني؟

*ما هو دور الصحف السياسية والمجلات والنخب الثقافية خارج تونس في التحرير الوطني؟

*** مناهج الدراسة:**

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة إتباع المناهج العلمية المعروفة في حقل الدراسات الأكاديمية التاريخية، فكان من بين المناهج التي اعتمدنا عليها:

– المنهج التاريخي الوصفي: كان اتباعنا في هذا المنهج عندما تطرقنا في حديثنا عن الجانب الثقافي التونسي، ووصف مختلف أدواره حسب تسلسلها وتأثيراتها في عملية التحرير الوطني. وما يمكن استنتاجه منها. وعموما كان المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التاريخي الجامع للوصف والتحليل، وتتبع الأحداث وتقييمها.

*** المصادر والمراجع:**

لقد اعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع الأساسية المتعلقة أساسا بالجانب الثقافي منها:

*كتاب محمد الفاضل بن عاشور الذي تضمن واقع الحركة الأدبية والفكرية بتونس، ومواقفه ونظرته لمختلف القضايا الفكرية.

*كتاب الطاهر عبد الله الذي تناول فيه الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة)، *كتاب خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة بأجزاءه الثلاثة، كتاب الكراي القسنطيني الجمعيات بين التأطير والتوظيف، كتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي، كتاب عمر بن قفصيه: أضواء على الصحافة التونسية، ومذكرة حبيب حسن اللولب حول دور الصحافة العربية في تفعيل الوعي الوطني(1860–1914م)، إضافة إلى كتاب الحبيب ثامر، هذه تونس، وباقة متنوعة من المصادر والمراجع الأخرى، والصحف والمجلات المتنوعة، فضلا عن بعض المواقع الإلكترونية.

***خطة الدراسة:**

ولدراسة موضوع البحث وضعنا خطة تتكون من: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، وملاحق لها علاقة بالموضوع، مع مراعاة ترتيب المكونات ذات الأهمية الثقافية التي تخدم موضوعنا.

الفصل التمهيدي: تطرقنا فيه الى الوضع السياسي والثقافي بتونس مطلع القرن 20م، وكان في جزأين، فالجزء الأول تمحور حول الوضع السياسي، والجزء الثاني حول الوضع الثقافي.

أما **الفصل الأول:** تطرقنا فيه إلى دور الهيئات الدينية والتعليمية في عملية التحرير الوطني فكان القسم الأول منه للهيئات الدينية (جامع الزيتونة) والحركات الصوفية، أما القسم الثاني حول المؤسسات التعليمية والجمعيات المنبثقة عنها ونضالها ضد الاستعمار.

أما **الفصل الثاني:** كان حول دور الحركة الأدبية والفكرية وأدوارها المختلفة في التحرير الوطني، وكان مقسم إلى شطرين، الشطر الأول حول الحركة الأدبية في تونس، أما الشطر الثاني تناولنا فيه دور الجمعيات المتعددة في تونس في التحرير الوطني.

في حين جاء **الفصل الثالث** والأخير حول دور الصحف السياسية والمجلات والنخب الثقافية خارج تونس في التحرير الوطني التونسي، وكان في منطلقه حول الصحف السياسية في تونس، أما القسم الثاني فتناولنا فيه المجلات ودورها في توعية وتفعيل الحركة التحررية، وفي الجزء الأخير من الفصل تناولنا النضال الثقافي خارج تونس.

*** صعوبات الدراسة:**

إن البحث في هذا الموضوع الثقافي الشاسع ذو المعارف المتعددة والمتداخلة فرض علينا بذل كل ما لدينا من طاقات فكرية ومادية وزمنية على حساب حياتنا اليومية من أجل إنجازه بالشكل الذي هو عليه.

ومن أبرز الصعوبات نذكر:

- تعدد المصادر والمراجع في تاريخ تونس، وعدم تخصصها بشكل مباشر في الجانب الثقافي.
- عدم وجود دراسات سابقة متخصصة في الجانب الثقافي لتاريخ تونس خلال الفترة المدروسة.

– تداخل الجانب السياسي والثقافي الفكري في الحركة الوطنية التونسية مما حتم علينا التمحيص واستخلاص ما هو ثقافي.

– ضيق الفترة الزمنية المخصصة للدراسة، مقارنة بشساعة الموضوع الذي يحوي بداخله جزئيات ثقافية تحتاج أن تكون مواضيع لمذكرات قادمة (جامع الزيتونة، الطرق الصوفية، المؤسسات التعليمية، الصحافة، الحركة الأدبية...)

الفصل التمهيدي: الوضع السياسي والثقافي لتونس مطلع القرن 20م.

01-الوضع السياسي في تونس.

02-ظهور الصحافة.

03-الحركة النقابية.

04-النخبة التونسية والفرنسة.

01- الوضع السياسي:

إذا أردنا الحديث عن التشكيلات السياسية في تونس فإننا نخص بالذكر اثنين: "حركة الشباب بتونس والحزب الدستوري الحر القديم"، فسابقا كان النشاط السياسي بتونس يعتمد على كتابات بعض الشخصيات في الصحف والجرائد لا يتعدى ذلك، لكن بتأسيس جريدة التونسي سنة 1907م من طرف باش حامبة[1] ذات الطابع السياسي بدأت بوادر الحركة الوطنية التونسية والنشاط السياسي يبرز على الواجهة شيئا فشيئا، وكوّن بذلك الأعضاء المندمجين في جريدة التونسي حركة سموها: "حركة الشباب التونسي" فكانت هذه بدايات النشاط السياسي لكنه كان ظهورا محتشما، وقد ازدادت هذه الحركة حدّة عقب انضمام الشيخ عبد العزيز الثعالبي[2] إليها.

1-1 الشباب التونسي:

هي حركة وطنية تونسية ذات طابع علماني. كانت تريد أن تكون صوت "سكان تونس الأصليين" في وجه المستعمر. تكونت الحركة من خريجي المدرسة الصادقية الذين واصلوا تعليمهم بالخارج في مقدمتهم البشير صفر[3]، وعبد الجليل الزواش[1]، وخير الله بن مصطفى إلى

---

[1] - علي باش حامبة (1879-1918م) درس بالزيتونة والمدرسة الصادقية، وتوظف بالعدلية، اشترك في تأسيس جمعية قدماء تلامذة الصادقية وساهم بنشاطه فيها، أسس جريدة (التونسي سنة 1907) في سنة 1911 نفي من طرف المحتل إلى الأستانة ومات بها سنة 1918.

[2] - عبد العزيز الثعالبي: (1879- 1944م) هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي، الزعيم السياسي والخطيب والكاتب، والمؤرخ، تعود أصوله إلى أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال ولد بتونس حفظ القرآن الكريم على يد مدرس خاص، التحق بجامع الزيتونة، كما تابع دروسه بالمدرسة الخلدونية، وفي سنة 1907م عمل في حزب تونس الفتاة وكتب في جريدة المبشر، أصدر جريدة "سبل الرشاد" ثم عطلتها السلطات الاستعمارية، وسافر إلى مصر حيث احتك هناك بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ليعود غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم، تعرض عبد العزيز الثعالبي للنفي وأُودع السجن، ثم أُفرج عنه أسس مع رفاقه الحزب الدستوري سنة 1920م وأُسندت إليه رئاسته إلا أن هناك خلافا وقع بين الأعضاء جعله ينعزل إلى أن توفي سنة 1944م ومن مؤلفاته: تونس الشهيدة - تاريخ شمال إفريقيا- مسألة المنبوذين... ينظر: محمد محفوظ: تراجع المؤلفين التونسيين، ص 221، 213.

[3] - البشير صفر: ولد سنة 1863م كان مدرسا بالمدرسة الصادقية أسس جريدة الحاضرة سنة 1888م ثم المدرسة الخلدونية سنة 1896م كما ساهم في إنشاء عدة مشاريع خيرية توفي سنة 1917م.

جانب مجموعة من الزيتونيين مثل الشيخ عبد العزيز الثعالبي والزعيم علي باش حامبة، وهذا الأخير الذي استطاع قيادتها "وأصدر يوم 07 فيفري سنة 1907م جريد التونسي الناطقة باللغة الفرنسية لإبلاغ صوت المواطنين التونسيين إلى الحكومة الفرنسية، ورغم اعتدال الجريدة التي كانت تدعو إلى تطبيق المشاركة فقد أثارت سخط الاستعماريين الذين شنوا عليها حملة شعواء[2]، وقد جاءت حركة الشباب التونسي في سياق حركة الإصلاح التي نشأت مع خير الدين باشا[3] وأحمد بن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس رحمهم الله.

لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، ففي يوم 07 نوفمبر 1911م حدثت مواجهة مسلحة بين الجماهير الشعبية والجنود الفرنسيين احتجاجا على محاولة الاعتداء على حرمة مقبرة الزلاج الإسلامية، وأسفرت تلك المواجهة عن جرح وقتل عدد كبير من المتظاهرين وتقديم أكثر من 800 تونسي إلى المحاكم وإعلان حالة الحصار وتعطيل الصحف الوطنية... ورغم الإجراءات القمعية، فقد بلغت حركة الشباب التونسي ذروة نشاطها في سنة 1912م، ولذلك استغلت السلطة الاستعمارية قضية مقاطعة الترامواي في مدينة تونس للقضاء على الحركة[4]، حينها

---

[1] عبد الجليل الزواش: سياسي ورجل أعمال تونسي، ولد عام 1947. ينتمي إلى أصول جزائرية هاجرت عائلته إلى تونس، ولد بمدينة تونس، زاول دراسته وتعليمه الثانوي في معهد سان وأتم دراسته العليا بجامع باريس ونال الإجازة في الحقوق وبعد عودته إلى تونس اهتم بالنشاط الاقتصادي وشارك في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية بتونس ترأس الجمعية الخلدونية 1910 – 1914م، انخرط في حركة الشباب التونسي وحضر للمؤتمر الاستعماري سنة 1908م. للمزيد ينظر: الصادق الزمرلي: مرجع سابق، ص 253– 270.

[2] – عبد الكريم عزيز: نضال شعبي أبي تونس (1881– 1956م)، مركز النشر الجامعي، 2001 م، ص 162.

[3] – خير الدين باشا(1822– 1890م): ولد سنة 1822م في قرية بجبال القوقاز، وانتهى به المطاف إلى قصر أحمد باي تونس، وهو في السابعة عشر من عمره سنة 1837م. وتعلم العديد من الفنون ثم عين مشرفا على مكتب العلوم الحربية. وولاه أحمد باي أميرا للواء الخيالة سنة 1850م، وفي سنة 1857م تولى العديد من المسؤوليات منها وزير البحر، قدم خير الدين استقالته من جميع وظائفه سنة 1862م وانعزل يكتب فألف كتابه الشهير: "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهاجر إلى تركيا في أوت سنة 1878– 1877م بأمر من حاكم البلاد محمد الصادق باي وذلك إرضاء للقناصل الأوربيين المعتمدين لديه، وهناك تولى الوزارة الكبرى و توفي بتركيا سنة 1889م، وفي أفريل 1868 استقبلت تونس المستقلة رفاة خير الدين باشا.

[4] – محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900– 1962م)– الجزائر، العربية للكتاب، 1983م ص 75.

أدركت السلطات الفرنسية بخطر هذه الحركة فقامت بنفي زعمائها إلى الخارج مثلما نرى ذلك في عنصر قادم، فتوفي علي باش حامبة بتركيا بعدما استقر في الأستانة عقب رجوع كل المنفيين إلى بلادهم، حيث كتب رسالة إلى أحد أصدقائه يخبره ببقائه هناك بتركيا فقال: "إني أقطع صلتي بصفة نهائية مع البلاد التونسية[1]، كما توفي أخوه محمد في ألمانيا بينما عاد الشيخ عبد العزيز الثعالبي ليشارك في إحياء الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب.

لم تعمر حركة الشبان التونسيين أكثر من خمس أو ست سنوات لكنها جماعة نخبة تونسية تحملت مسؤولية النطق باسم الأهالي والتعبير عن مطالبهم الإصلاحية فعبّدت بكتاباتها وأنشطتها وتضحياتها الطريق لتأسيس أول حزب سياسي بعد الحرب، فأخذ منها مشعلَ التحرر الوطني الحزبُ الحر الدستوري التونسي بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي والذي شارك في تأسيسه ثلة من التونسيين كان جلهم ينتمي إلى حركة الشباب التونسي.

ويرى بعض الفرنسيين أن حركة الشباب التونسي قد ظهرت بعد سنة 1908م بثوب جديد وبشكل ثوري مخيف خاصة في خلال الجرائد التي كانت تنشط فيها.

1-2 **أحداث الزلاج:** في السابع من نوفمبر 1911م[2] دعت السلطة الفرنسية عن طريق مجلسها البلدي التونسي الشعب لحضور تسجيل مقبرة (الزلاج) وشاع الخبر في أوساط الشعب كالبرق على أن فرنسا تريد ضم الأراضي الزراعية لصالح فرنسا بدل تونس وتشريعها بالقانون الفرنسي على الرغم من أن نواب المجلس البلدي التونسي كانوا رافضين لهذا القرار وكانت هذه حبكة من حبك الفرنسيين كدليل على سوء نيتهم وجهزت الحرس والجند الفرنسي حول المقبرة وما إن حضر الشعب في اليوم الموعود حتى شاع خبر أن فرنسا ستسعى لقطع جزء من المقبرة لجعله ممرا لسكة الحديد كل هذا جعل الشعب في حالة من الغضب والاضطراب ما أدى بشرطي فرنسي إلى رمي شخص بالرصاص فأرداه قتيلا، وألقت الشرطة

[1] – يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي (1919 –1934م)، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1980م،ص31.

[2] – محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، ص114.

القبض على مجموعة من الشباب التونسي، هذا من جهة. ومن جهة ثانية وقبل شهر تقريبا (أكتوبر) حدثت مجازر واعتداءات إيطالية ضد شعب ليبيا (طرابلس الغرب) ما زاد ذلك من تأزم الوضع العربي والتونسي بالأخص. كل هاته الظروف والأحداث أدت إلى نشوب اشتباكات بين الشعب التونسي والحكومة الفرنسية مما أدى إلى قتل الكثير وجرح الكثير، وقد خلفت هذه الحادثة آلاما وجراحا كثيرة، وتركت أثرا عميقا في نفسية التونسيين حتى بلغت القلوب الحناجر[1].

1-3 واقعة الترامواي: كان بتونس شركة تدعى "الترام" تنقل العربات، وكانت هذه الشركة في يد السلطة الإيطالية التي كانت تتمتع بحظ وافر من الاحترام من طرف المحتل الفرنسي الذي كان يعامل التونسيين بأبشع أصناف الذل، وفي خضم هاته الأحداث (الزلاج) وبعد مدة من الزمن سارع الشعب التونسي خاصة العمال الذين يعملون في شركة "الترام" إلى الانقطاع عن العمل[2]، مما أدى إلى شلل تام في هذه الشركة ومقاطعتهم ركوب عربات الترام في (فيفري 1919م) بسبب عدم تساويهم في الأجور مع الإيطاليين بتلك الشركات وقد دعم هذا الوضع العلماء وخطباء المساجد وكذا شيوخ الزوايا الذين باركوا هذا العمل ووقفوا مع إخوانهم التونسيين الذين سعت فرنسا إلى اعتقالهم وزجهم في السجون ومعاقبتهم.

1-4 نفي وتهجير القادة السياسيين: إذا ذكرنا السياسة الخاصة قبل الحرب العالمية الأولى فإننا نعني بذلك حركة الشباب التونسي الذي تأسس خلال سنة 1908م من طرف ثلة آمنت بضرورة الكفاح السياسي أمثال: علي باش حامبة، حسن قلاني، محمد نعمان، عبد العزيز الثعالبي وغيرهم الذين استطاعوا تأسيس هذه الحركة تأثرا بما يحدث بتركيا والمشرق العربي خاصة بعد زيارة الشيخ المصلح محمد عبده لتونس سنة 1904م والعمل جديا على إصلاح الأوضاع بالديار التونسية، وقد ذكرنا في عنصر سابق أن حركة الشباب التونسي تعتبر سابقة

[1] – محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، دار الحسينية للكتاب، دمشق 2002م، ص140.

[2] – خليفة الشاطر وأخرون، تونس عبر التاريخ ج(الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م، ص80.

فريدة النشاط السياسي بتونس لم يسبقه أحد لذلك، وقد أحست فرنسا بهذا الثقل السياسي وما يلعبه هؤلاء من دور في إيقاظ همم الشعب التونسي، وانطلاقا مما حدث في واقعة الزلاج وبعدها بقليل التمرد العمالي في شركة الترام، أحست فرنسا –فعلا– بخطورة الوضع فقامت بمقتضى الأمر العلي المؤرخ في 13 مارس 1912م بنفي وتهجير قادة الحركة الوطنية التونسية وأجرت القرار التالي:

– نفي كل من (علي باش حامبة، عبد العزيز الثعالبي، محمد النعمان)[1] إلى مرسيليا على متن باخرة. – إبعاد (حسن قلاتي) إلى الجزائر. – نقل (الصادق الزمرلي) إلى تاطوين جنوب تونس. – نقل (الشاذلي درغوث) إلى مدنين بالرغم من كبر سنه. – سجن (المختار كاهية) في سجن "باردوا" المخصص لأمراء العائلة المالكة بحكم قربه من العائلة المالكة وقد أدى هذا الإجراء إلى تدهور الأحوال بالمجتمع التونسي كله، وبعد فترة من الزمن استطاع كل هؤلاء المنفيين الرجوع إلى الوطن باستثناء علي باش حامبة الذي استقر بالأستانة عاصمة الدولة العثمانية آنذاك إلى وفاته، وقد كتب رسالة إلى أحد أصدقائه يخبره فيها: أبي أقطع صلتي بصفة نهائية مع البلاد التونسية. إن من الأشجار شجرة يمكن كسرها ولكن يستحيل أن تنحني فأعذرني إذا أنا كنت متشبها بها[2] أي أنه آثر البقاء بعيدا عن بلده خير له من أن يرجع إلى بلده ويرضخ تحت أوامر الإستدمار الفرنسي الغاشم.

1-5 الحزب الدستوري الحر:

ساهمت مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في تطوير الحركة الوطنية ونشأة الحزب الحر الدستوري التونسي. فما هي الظروف التي نشأ فيها الحزب وما برامجه المطروحة؟

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في نشأة الحزب الدستوري الحر منها ما هي داخلية وأخرى خارجية، فالظروف الداخلية وهي مساهمة حركة الشباب التونسي في تطوير العمل

[1] – البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث(1881–1924م)، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص104.

[2] – يوسف مناصرية، الحزب الدستوري الحر، المرجع السابق، ص31.

الوطني بعد أن أفرج عن زعمائها الذين اعتقلوا على إثر أحداث الزلاج[1] وخاصة عبد العزيز الثعالبي الذي أسس الحزب الحر الدستوري التونسي في مارس 1920م بعدما أتم تأليف كتاب "تونس الشهيدة" الذي نشره سنة 1920م[2] نتيجة الصعوبات الاقتصادية إذ تراجع المنتوج الصناعي، وغزت المنتوجات الأوروبية الأسواق المحلية وتراجعت القدرة الشرائية وانتشرت المجاعة[3]، أما الظروف الخارجية فمنها المطالبة بتطبيق مبادئ "ولسن" الأربعة عشر الداعية إلى تحرير الشعوب وحقها في تقرير مصيرها، بالإضافة إلى تنامي حركات التحرر في العالم.

ويعتبر ظهور الحزب الحر الدستوري التونسي تطورا لحركة الشباب التونسي التي نشطت ثم قمعت قبيل الحرب العالمية الأولى. وبعد تلك الحرب العالمية ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية في ظهوره من بينها على المستوى العالمي الإعلان عن مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن[4] الداعية إلى تحرير الشعوب وحقها في تقرير مصيرها بالإضافة إلى تنامي حركات التحرر في العالم. كما سمحت فترة ما بعد الحرب للمواطنين التونسيين بالتحرك والتقدم بعدد من المطالب الوطنية. وقد التفت المجموعة حول الكتاب "تونس الشهيدة" الذي صدر آنذاك بباريس بإمضاء الشيخ عبد العزيز الثعالبي. والمؤسسون هم بالإضافة إلى الشيخ الثعالبي: صالح فرحات، محيي الدين القليبي، أحمد توفيق المدني[5]، وأحمد الصافي[1]، وأحمد

---

[1] – الزلاج: هو محمد بن الزلاج من صوفية تونس صاحب المقبرة ودفينها، ولد بتونس وتولى بالمنستير، واحترف الزليج بمدينة تونس وسميت بعد باسمه، للمزيد ينظر: يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي (1919 –1934م)، المرجع السابق ، ص19.

[2] – Michele Branicaid; le maghreb ou coer des crises; imp des monsd du loyommais1994 p37

[3] – عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، ترو تع سامي الجنيدي، ط1، دار القدس 1975م، ص16.

[4] - Rodd Balek، la tunisis apres la gurre، afrique، N 07 30 annes juillet– aout 1920 P 226– 227

[5] – أحمد توفيق المدني: هو أحمد توفيق بن محمد بن أحمد بن محمد المدني الغرناطي الجزائري عالم ومؤرخ جزائري ولد بتونس في أول نوفمبر 1899م تلقى علومه الأولى بالجامع الكبير له عديد المؤلفات بدأ نضاله السياسي مبكرا بتونس ليكون مع رفاقه خلية من الطلبة المناضلين للتحريض على الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، توفي بالعاصمة يوم 18 أكتوبر 1983م. للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 م، ص 13.

السقا، وعلي كاهية، وحمودة المنستيري، والحبيب زويتن. واستجابة لدعوة الشيخ عبد العزيز الثعالبي فقد عقد الوطنيون عدة اجتماعات بالخصوص الاجتماع المنعقد في تونس يوم 14 مارس 1920م والاجتماع المنعقد بالمرسى يوم 03 جوان 1920م واتفقوا على القرارات التالية[2]:

- إعلان تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي.
- توجيه وفد دستوري إلى باريس برئاسة أحمد الصافي لتقديم المطالب الوطنية إلى الحكومة الفرنسية (وقد توجه الوفد إلى العاصمة الفرنسية يوم 06 جوان 1920م).
- تشكيل وفد يضم 40 شخصية تونسية برئاسة الشيخ الصادق النيفر[3] المدرس بجامع الزيتونة لمقابلة الناصر محمد باي[4] يوم ثاني عيد الفطر بقصره بالمرسى، وإبلاغه العرائض المتضمنة لمطالب الحزب.

وكان برنامجه مستلهم من كتاب "تونس الشهيدة" الذي ألفه عبد العزيز الثعالبي وأصدره بباريس سنة 1920م ومن مطالبه: إرساء نظام دستوري، والفصل بين السلطات الثلاث، وضمان الحريات والمساواة، وإجبارية التعليم.

ومن نشاطاته قيام رجال هذا الحزب – الحزب الحر الدستوري – "بنشاط مكثف للتركيز على هياكل الحزب، والتعريف بمطالبه، والدعوة لفائدته، سواء عن طريق الخطب والمحاضرات أو بواسطة الفصول المنشورة في الصحف، وقد حظيت الحركة الدستورية من أول وهلة بتأييد كافة

---

[1] – أحمد الصافي: (1882– 1935م) تلقى تعليمه في مدرسة الصادقية وبجامع الزيتونة، وحصل على إجازة في الحقوق بباريس، وعمل محاميا منذ سنة 1909م، هو أول أمين عام للحزب الدستوري، وترأس أول وفد دستوري إلى باريس.

أما محمد السقا: ولد عام 1892م بالمنستير بتونس، درس بتونس وتابع دراساته العليا بباريس في المحاماة، شارك الثعالبي في تحرير كتابه تونس الشهيدة، للمزيد ينظر: محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، ط2، دار سيزار للنشر، بيروت، 1992 م، ص 10.

[2] – عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص20.

[3] – محمد الصادق النيفر: ولد في 1882–1939م بتونس درس بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، وعمل في العدلية منذ 1900م، ثم مدرسا بالجامع منذ 1913م، وقاضيا مالكيا بين 1922 و1929م.

[4] – محمد الناصر باي: حكم تونس في الفترة الممتدة مابين 1906–1922م.

الفئات الاجتماعية ومساندة الناصر محمد باي وأفراد عائلته"[1]، لكن لم تمض مدة طويل حتى ظهرت خلافات بين أعضائه المشكلة له حين انفصل عنه بعضهم وهو الشق المعتدل منهم بزعامة حسن قلاتي بتشكيل "الحزب الإصلاحي"سنة 1921م، ولم يستطع جلب الجماهير إليه، ولم يستطع الصمود إلى أن انحل سنة 1928م.

02- ظهور الصحافة:

في الجانب الصحفي لم تكن أجواء تونس تختلف عن جارتها الجزائر إلا أنه كان أخف ضررا واضطهادا بحكم أن احتلالها كان بشكل حماية لا استعمار لكن الظروف التي كانت تعيشها تونس وقتها من الذل والحرمان سارع بظهور الصحافة لكشف الحالة المزرية التي تعيشها الشعوب، ولمعرفة ذلك لابد من ذكر وسرد بعض ما مرت به الصحافة بتونس.

لم تكن بتونس صحافة قبل سنة 1860م[2] حيث كانت المعلومات التي تهم الشعب تنشر بواسطة محفوظات (مناشير) تعلق بمدخل الإدارة وبواسطة البراح يشاع الأمر بين عامة الشعب (كان هذا قبل احتلال تونس) وكانت تونس رابع بلد يعرف الصحافة بظهور جريدة "الرائد التونسي" التي تواصل ظهورها إلى غاية سنة 1970م، وقد مرت الصحافة التونسية بمراحل يمكن تصنيفها على الشكل الآتي:

2-1 مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى: وتبدأ من ظهور الصحافة سنة 1860م إلى غاية صدور قرار الحجر على الصحافة سنة 1911م من طرف المحتل الفرنسي بالرغم من ظهور كم هائل من عناوين الجرائد والصحف مثل: الحاضرة 1860م، الزهرة 1890م، سبيل الرشاد 1895م، الصواب 1904م، تونس 1905م، المرشد 1907م، النهضة 1909م، المشير 1910م. إلا أنها كانت لا تخرج عن نطاق الحديث عن الأوضاع التي كانت تعيشها البلاد التونسية، وما زاد من تخوف التونسيين أقصد رجال الصحافة هو ذلك القانون الذي صدر سنة 1884م من طرف الحكومة الفرنسية الذي جعلت بموجبه الصحافة لها علاقة بالحكومة لذا

[1] – عبد الكريم عزيز، نضال شعبي أبي، المرجع السابق، ص: 165.

[2] – عمر بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972 م، ص 21.

وجب على كل من يريد إصدار جريدة أن يعمل للحصول على ترخيص (من الحكومة) كي يصدرها، أو يحل عليه من العقوبات إذا ما أخل بتلك القواعد، والملفت للانتباه كما قلنا سابقا أن المواضيع التي كانت تدونها تلك الصحف لا تخرج عن نطاق التعليم (خاصة التعليم الزيتوني) والأدبيات والتاريخيات والاقتصاد، وفي سنة 1897م فرضت الحكومة على كل صحيفة عربية دفع مبلغ من المال قدره ستة آلاف فرنك (6000) كضمان مثلما فعلت بالجزائر، وكان من آثار هذا القرار أن تعطلت كل الصحف آنذاك عدا الحاضرة التي استطاعت التكفل بتكاليف ذلك الضمان، ولم تمر سوى سنوات حتى عادت الصحف إلى الظهور مرة أخرى بصورة طبيعية لعدم تطبيق الحكومة لهذا القرار كان ذلك قبل بداية القرن العشرين[1].

والميزة التي طبعت هذه الفترة من الصحف (أي بعد 1900م) هو ظهور صحف لها علاقة بالفكاهة[2] على غير ما كانت عليه في سابق عهدها، وما يؤكد ذلك هو اهتمام الصحف بالحرب التي جرت بين اليابان والروس سنة 1905م حيث اعتنت بكل ما حدث في الشارع التونسي... لحد الساعة لم تكن الصحافة التونسية ذات علاقة بالجانب السياسي.

لكن ببروز تلك الحركة وذلك الحزب المسمى بـ "حركة الشباب التونسي" بزعامة علي باش حامبة وعبد العزيز الثعالبي الذي انظم إليه، ومع ظهور كتابات شديدة اللهجة أمثال كتابات المصلح الكبير "البشير صفر" أصبحت الأمور تسلك نوعا من اللاتوازن والاضطراب لدى السلطة الفرنسية. ومنذ سنة 1908م إلى غاية سنة 1911م بدأت تظهر جرائد جديدة مثل (المشير) للطيب بن عيسى، (المضحك) لعبد الله زروق، حيث وصلت الصحافة التونسية بفضل جهود بعض الشخصيات إلى درجة عالية من الينع، وأقبل الناس على مطالعة الجرائد

[1] – أحمد الطويلي، من تاريخ الصحافة التونسية والأمن الوطني، دراسات ووثائق، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، 2012 م، ص16.

[2] – الهادي جلاب، أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2001 م، ص 104.

أكثر من ذي قبل وأكثر رواجا، وبدأت (الموازين) الكتابات تنحرف عن طابع الاقتصاد والأدب إلى طابع السياسة والتذكير بحال المجتمع التونسي، وبذلك بدأ الشعب التونسي يعي حقيقة الاستعمار الفرنسي بفضل تلك الصحف وتصاعد الحقد التونسي ضد الاحتلال ما أدى بالحكومة الفرنسية في 08 نوفمبر 1911م إلى إصدار قرار حجب وحجز الصحف العربية كلها بقرار من القائد الفرنسي آنذاك[1].

2-2 مرحلة أثناء الحرب العالمية الأولى: أثناء الحرب العالمية الأولى لم تكن تنشط أي صحيفة تونسية سوى جريدة الزهرة اليومية التي بقيت تنشر بلاغات وإعلانات السلطة والحكومة الفرنسية، وكذا الإعلانات الشرعية وبعض الأخبار الخارجية إلى غاية نهاية الحرب، بل إلى غاية تاريخ الأول من فيفري 1920م تاريخ رفع الحجر على الصحف من طرف السلطة الاستعمارية.

2-3 مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى: تعد أفضل وأزهى فترات الصحافة نشاطا بتونس، وما زاد في حماسها هو تأسيس الحزب الناطق باسم الشعب التونسي وهو الحزب الدستوري بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي[2].

ولبسط الحديث عن هذه الحقبة من الزمن لابد وأن ننوه إلى أن الصحافة في هذه الفترة كانت على أقسام أي أنها لم تبق على ما كانت عليه بل انشطرت إلى صحافة حزبية وأخرى شيوعية وأخرى إصلاحية.

-الصحافة الحزبية: في 14 مارس 1920م تم تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي، بمنزل علي كاهية، وقد ضم هذا الحزب جميع أو جل الشخصيات المهمة التونسية أمثال: عبد العزيز الثعالبي، علي باش حامبة، محمد الصافي، صالح بالعجوزة، البشير عكاشة... الخ[3]

1 – الهادي جلاب، أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات، المرجع السابق، ص 105.

2 – محمد حمدان، أعلام الإعلام بتونس 1860-1956م، تونس، الشركة التونسية للفنون والرسم، ص70.

3 – محمد الصالح المهيدي، تاريخ الصحافة العربية وتطورها بالبلاد التونسية، تونس، 1965 م، ص14.

– وعمد هذا الوفد المشكل للحزب إلى مقابلة أمير البلاد: "أحمد الناصر باي" يوم الجمعة 18 جوان 1920م الذي اعترف بهذا الحزب الجديد، ومنذ تأسيس هذا الحزب عمدت كل الصحف الناشطة آنذاك إلى الانطواء تحت رايته الحزبية عدا جريدة الزهرة لصاحبها عبد الرحمان الصنادلي الذي كان محايدا.

–الصحافة الشيوعية: بدأ ظهورها بعد سنة 1921م، حيث قامت قلة شيوعية بإصدار صحف تنطق باسمها مثل: (جيب الأمة، جيب الشعب، النصير، البصير، الاستبداد، المهضوم، المظلوم) وكانت السلطة الفرنسية تتضايق من صرامة كاتبيها فكانت تقابل هذه الصرامة بالتوفيق والتعطيل في كل مرة[1].

–الصحافة الإصلاحية: لعل فكرة الإصلاح ظهرت مبكرا بتونس منذ الزيارة التي قام بها محمد عبده إلى تونس 1904م وبحكم الأوضاع التي كانت عليها تونس لم تسمح الفرصة بذلك إلا بعد تأسيس الحزب الحر الدستوري وكان من مؤسسيه رجل اسمه حسن قلاتي الذي اشتغل بحزب إصلاحي سنة 1921م حينما امتنع عن أداء اليمين للحزب الدستوري[2]، وبتكوينه وتأسيسه لهذا عمد إلى تأسيس جريدة إصلاحية تكون هي لسان حال الحزب فأنشأ جريدة أسبوعية سنة 1921م لكن لم يكتب له العيش سوى سنة أي إلى سنة 1922م.

تم تأسيس الحزب لجريدة أخرى سماها " النهضة "[3] وكان ذلك سنة 1923م حيث أدامت هذه الجريدة عملها الإصلاحي إلى غاية سنة 1957م أين توقفت عن الصدور.

لعل هذا ما ميز الصحافة التونسية التي تمثل جانبا من جوانب الحياة السياسية التي كانت تعيشها تونس في حقبة من حقبات هذا التاريخ. والسؤال الذي نطرحه في هذا الصدد: ما موقف السلطة المحتلة من تلك الصحف التي كانت تنتشر وتبرز أوضاع المجتمع آنذاك؟

[1] – محمد الصالح المهيدي، فصول في تاريخ الصحافة التونسية، المطبعة التونسية الرسمية، تونس، 2009 م، ص92.

[2] – المرجع نفسه، ص84.

[3] – عمر بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية، المرجع السابق، ص: 26.

كان الوضع التونسي يمتاز بنوع من الحرية كما ذكر ذلك مالك بن نبي[1] في مذكراته وكتابه، فقد كانت هناك صحفا تأتي من المشرق تتداول في تونس مثل جرائد محمد رشيد رضا وغيرها... وعموما نجد أن ما لاقته الصحف العربية من ضغط عكس ما كانت تلقاه الصحف الفرنسية بتونس، وقد انتقد الشيخ محمد فريد بك[2] أثناء رحلته التونسية ذلك الضغط المفروض على الصحف العربية، بل وجاهر بذلك إلى السيد بادو وكيل الكاتب العام فأجابه: "إن الأهالي شديدو الحمية والشكيمة، ولو أطلق لهم عنان حرية الجرائد، لثاروا وقاموا في وجه الحكومة الفرنسية"[3] ولعل هذا أهم ما طبع جانب من جوانب الحياة السياسية بتونس وهو الجانب الصحفي لأن لسان كل بلد وأي دولة هي الصحافة فكانت تونس من السابقين الأوائل لممارسة هذه الحرفة.

03- الحركة النقابية: ذكرنا فيما سبق أسباب مقاطعة الشعب التونسي الركوب عربات الترام سنة 1912م هو هضم الفرنسيين لحقوق العمال التونسيين فكان العامل الفرنسي أو الإيطالي (بالرغم من أن طبيعة العمل واحدة) يتمتع بحقوق وأجور أفضل مما يتحصل عليه العامل التونسي ونفس الشيء بالجزائر لعدم وجود نقابة أو جمعية تدافع عن حقوقهم ومطالبهم[4].

لكن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1919م وبروز حركات تطالب بحرية الشعوب من جهة، وبعد تأسيس أول حزب سياسي له مكانته ووزنه (الحزب الدستوري الحر) سارعت مجموعة من العمال الذين كانوا منخرطين في الاتحادية النقابية الفرنسية المؤسسة بتونس التابعة للمركز العام بباريس سنة 1919م وبحكم إحساسهم بتلك المعاملة المهملة التي لا وزن

[1] – مالك بن نبي (1905 –1973م) ولد في مدينة تبسة شرق الجزائر سنة 1905م، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة يعتبر من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، توفي يوم 31 أكتوبر 1973م، ينظر الموسوعة الحرة "ويكبيديا".

[2] – محمد فريد بك (1868–1919م) محام ومؤرخ معروف وأحد كبار الزعماء الوطنيين بمصر، ترأس الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل، أنفق ثروته في سبيل القضية المصرية، من أشهر ما كتب: "تاريخ الدولة العثمانية، ينظر الموسوعة الحرة "ويكبيديا".

[3] – محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، المصدر السابق، ص140.

[4] – الطاهر الحداد، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972م، ص49.

لها ولا تعتني بشؤونهم وحاجياتهم وما يسلط عليهم من إجحاف لحقوقهم بدؤوا ينسحبون من هذه الاتحادية، وسارعوا إلى تكوين جمعيات خاصة بهم كجمعية الاتفاق الودادي لعمال شركة السكك الحديدية، ووداية عملة معمل الدكان التونسيين[1]، وبذلك ظهرت بذور وملامح الحركة النقابية تلوح في الأفق. إلى غاية سنة 1924م وبالضبط في مارس حينما عاد الشيخ محمد علي بن المختار[2] من ألمانيا حاملا شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، وبعدما رأى من إجحاف السلطات الفرنسية في حق العمال التونسيين أخذ يقوم بعمله النقابي في بعث الوعي في نفوس العمال وإشعارهم بكرامتهم ووزنهم في الحياة بحكم أنهم المادة الأولية فلولاهم لما قامت هذه الشركات بتونس، وللعلم فإن في ذلك الوقت لم يكن يوجد قانون يعترف بالحياة النقابية ونظامها[3]، وبعد سنة كاملة من الجهد المتواصل من أجل تأسيس حركة نقابية بالبلاد بمشاركة فرحات حشاد[4]، وبفضل هذا العمل تكونت نقابة عمالية بالرديف بتونس وبرزت نقابة إصلاح المراسي ونقابة معمل السميد بسيدي شلوف، ونقابة معمل الآجر... وبذلك انتشرت في ظرف وجيز عدة نقابات تدافع عن العمال التونسيين انطلاقات من شهر أكتوبر 1924م إلى غاية شهر ديسمبر من نفس السنة، لكن السلطة الفرنسية – أقصد الاتحادية الفرنسية – رفضت هذا النشاط النقابي المتعصب على حد زعمهم فرد عليهم علي بن المختار بقوله: "أننا إذا أسسنا في بلادنا نقابات، وجامعة تونسية فليس معناها أننا لا نرتبط بالجامعة العالمية، وهل هذا إلا عين ما هو جار في فرنسا وألمانيا وانجلترا وغيرها من الممالك التي ترتبط مؤسساتها نهائيا بمركز الأممية، فلماذا ينكرونه علينا في بلادنا؟

---

[1] – مجلة الندوة التونسية، تاريخ الحركة النقابية بتونس، العدد، 12، السنه الأولى بتاريخ 1953/12/05م، ص14.

[2] – محمد علي بن المختار (محمد علي الحامي) ولد 1890م في الحامة بالجنوب التونسي، مؤسس عموم العملة التونسية وهي أول منظمة نقابية بتونس ظهرت عام 1924م، توفي بالمملكة السعودية بتاريخ 1928/05/10م.

[3] – الطاهر حداد، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، المرجع السابق، 49.

[4] – فرحات حشاد: ولد في 02 فيفري 1914م، زعيم سياسي ونقابي تونسي لمع نجمه بعد تأسيسه للاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946م أغتيل على يد عصابة من التونسيين المقيمين بتونس (اليد الحمراء) برادس الناحية الجنوبية للعاصمة تونس يوم 05 ديسمبر 1952م يعتبر أحد أهم رجالات الحركة الاستقلالية في تونس، ينظر: الموسوعة الحرة "ويكيبيديا"

الحق أقول لكم ما على العمال الأوربيين الذين يظنون بنا إلا أن يجربوا انخراطهم معنا ليروا أننا نقبل منهم إخوانا لنا في العمل والقدر ليس غير...[1]

إلا أنه كما يقول أبو الطيب المتنبي[2]:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه *** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

فقد سارعت فرنسا إلى تجميد عمل هذه النقابات التي لم يكتب لها البقاء والارتقاء. ففي يوم 05 فيفري 1925م ألقي القبض على زعيمها محمد علي بن مختار والسيد المختار العياري وسجنا بتونس، وفي اليوم السابع من نفس الشهر والسنة ألحق كل من محمود الكبادي ومحمد العنوشي بتهمة الآمر ضد أمن الدولة الداخلي.

وبهذا قضي على الحركة النقابية التونسية التي تعتبر أحد الأنشطة التي قام بها الشعب التونسي لحرية التعبير عن نفسه في ظل الحكم المتسلط الفرنسي. فترة من فترات هذا التاريخ.

04- النخبة التونسية والفرنسة:

4-1 تعريف النخبة:

المقصود بالنخبة: الفئة المتعلمة من التونسيين، والتي كانت تعمل في الميدان السياسي عبر التنظيمات المعروفة في بداية العشرينات من الحزب الحر الدستوري التونسي والحزب الإصلاحي وفدرالية الحزب الشيوعي، أو التي كانت تصنع الرأي العام عبر إصدار الصحف والدوريات أو الكتابة فيها أو تنشط ضمن الجمعيات الثقافية المتداولة زمن ذلك، وهي تقريبا نفس العناصر التي تتحرك في الحقل السياسي.

لقد كانت هذه النخبة في تونس ومنذ نشأة حركة الشباب التونسي في بداية – القرن العشرين الميلادي وحتى في الأطوار اللاحقة – ورغم طابعها الإصلاحي والتجديدي يتقاسمها

[1] – مجلة الندوة التونسية، تاريخ الحركة النقابية بتونس، العدد 12 السنة الأولى ، المرجع السابق ، ص14 . (هي مجلة تونسية شهرية جامعة، رئيس تحريرها وصاحبها محمد بن أحمد النيفر).

[2] – المتنبي: هو أبو الطيب الجعفي الكوفي، ولد سنة 303هـ، في الكوفة بالعراق، كان أحد أعظم شعراء العرب وهو شاعر حكيم وأحد مفاخر الأدب العربي مات مقتولا أثناء عودته إلى الكوفة، ينظر: الموسوعة الحرة "ويكبيديا"

تياران، تيار منجذب إلى الغرب دعاته خاصة من المدرسين الذين تثقفوا ثقافة فرنسية يرون في الحضارة الغربية القدوة والمثال، وتيار آخر كان الأغلبية –حتى أواسط الثلاثينات– وهو الأقرب إلى الوجدان الشعبي، وهو تيار العروبة والإسلام وأتباعه هم خاصة (و ليس فقط) من متخرجي الزيتونة، وقد حددوا مرجعهم في الحضارة العربية ومصب آمالهم في المشرق العربي والجامعة الإسلامية[1].

4-2 انتشار التعليم الفرنسي بعد فرض الحماية:

بعد فرض الحماية على تونس اهتمت السلطات الاستعمارية بالتعليم باعتباره الوسيلة المثلى التي تمكنها من الهيمنة الثقافية على البلاد ويوفر لها الإطارات التي تساعدها على التسيير السياسي والإداري ويندرج ضمن الرسالة الحضارية التي تضطلع بها فرنسا في تونس، غير أن تلك السلطات لم تجد عند انتصابها فراغا في الميدان التعليمي، فكان أن اتجهت إلى التفاعل مع النظم التعليمية الموروثة[2].

لقد فرض تحديد السياسة التعليمية للحماية على المؤسسات الموجودة أن تتفاعل مع الواقع الجديد غير أن هذا التفاعل اختلف من مؤسسة لأخرى ويمكن أن نعطي مثالا كان لتعامل الإدارة العمومية معها طابعا خاصا وهو معهد القديس شارل كمثال على التعليم الأجنبي مع تأجيل الحديث عن تعامل إدارة التعليم مع التعلم الأهلي مثلا في جامعة الزيتونة وباقي المعاهد التعليمية الأخرى التي سنركز فيها على الصادقية الخلدونية فقط، تأسس هذا المعهد بمبادرة من الكاردينال لافيجري[3] قبل سنة من انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، وقد أقيم بقرطاج، وحمل اسم القديس لويس ملك فرنسا، فكان معهدا دينيا يسهر على التعليم فيه أعضاء جمعية المبشرين، غير أن البرنامج لم يكن يختلف عن البرامج الموضوعة للمعاهد الفرنسية إلا

1 – الهادي جلاب، أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات، المرجع السابق، ص 78.

2 – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، ط3، تونس 1983م، ص21.

3 – الكاردينال لافيجري: ولد بفرنسا 1825م، قام بإدارة البعثات التنشيرية في إفريقيا السوداء وعين رئيسا لأساقفة الجزائر منذ 1867م، وتوفي 1892م.

في اختيار اللغات الحية أمام عدد التلامذة فقد بلغ الخمسين سنة 1881م، وبعد انتصاب الحماية تحول مقره إلى العاصمة حيث بإمكانه يستوعب عددا أكبر من التلاميذ، وتغير اسمه إلى معهد القديس لويس، وهو أول معهد مخصص للتعليم الثانوي بتونس وقد ضم في سنته الأولى(1882- 1883م) زهاء 100 تلميذ، وعين به ابتداء من 1886م عشرة أساتذة بين مبرزين ومجازين، لتتحول إدارته ابتداء من عام 1889م من المبشرين إلى الإطار اللائكي، وحمل اسم ليسي تونس[1]، وبذلك نجحت إدارة التعليم في سحب المعهد من المبشرين وأخضعته إلى برنامج وتنظيم شبيهين بمعاهد فرنسا[2].

وكان التلامذة الفرنسيين يشكلون النسبة الأهم ضمن تلاميذ المعهد وبقوا كذلك طوال عهدها إذ كان عددهم سنة 1881م، 153 تلميذ من جملة 318، وفي سنة 1929م كان عددهم 941 تلميذ من جملة 1950م أي تقريبا بنسبة تفوق الخمسين بالمائة أما التلامذة التونسيون المسلمون بهذا المعهد فقد كان عددهم ضئيلا، 41 تلميذا سنة 1891م، غير أن هذا العدد سينخفض إلى 16 سنة 1894م وذلك يعود إلى أن عدد من التلامذة الصادقيين ألحقوا به سنة 1891م بهدف دمج المؤسستين في صلب مؤسسة تسمى "الليسي الصادقي"، غير أن فشل التجربة أدى إلى التخلي عن المشروع في أكتوبر 1893م وأعيد الصادقيون إلى مدرستهم، مما جعل عدد التونسيين ينخفض بالليسي كارنو، كما أصبح يسمى ابتداء من سنة 1894م غير أن نسبة التونسيين المسلمين تتزايد شيئا فشيئا إذ بلغ عددهم 316 سنة 1929م مقابل 534 يهودي[3]. وفي الجملة فإن إدارة التعليم العمومي استطاعت أن تفتك أول معهد للتعليم

[1] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1956 – 1900م، ج1،طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2008 م ، ص636.

[2] – ضيف الله محمد، الحركة الطالبية التونسية (1927-1939م)، تق التميمي عبد الجليل، تونس: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي 1999م، ص31.

[3] – ضيف الله محمد، الحركة الطالبية التونسية (1927-1939م)، المرجع السابق: ص 32.

الثانوي من المبشرين، وتجعله نسخة من المعاهد الفرنسية يحرس على نشر الثقافة الفرنسية، ويساهم في دعم رافد التغريب بالبلاد التونسية[1].

لقد اتجهت سياسة فرنسا التعليمية في تونس منذ فرض الحماية إلى محو الروح القومية وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية، وبتطبيق برامج خاصة لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية وقطع الصلة بينها وبين تاريخها لتتمكن من إدماجها في العنصر الفرنسي، وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم قبل الحماية، وكان جامع الزيتونة وغيره من الكتاتيب والزوايا تشتمل على كثير من التلامذة الذين يتلقون الثقافة العربية على الطريقة القديمة، وفي سنة 1883م أسس الفرنسيون إدارة العلوم والمعارف ووضعوا برنامجا لإنشاء مدارس ابتدائية فرنسية للأروبيين، ولم يكن للغة العربية أي حظ في هذه المدارس»[2]،وقد كانت البلاد قبل الحماية تعد حوالي 500مدرسة، ولا توجد قرية أو تجمع سكني هام دون أن تكون له مدرسته أو مدارسه، وفي هذه المؤسسات أين كان التعليم أساسا دينيا يدرس التلاميذ القراءة والكتابة والقواعد الأولية اللغة العربية، وبعد فرض الحماية فتحت إدارة التعليم العمومي – كما سبق ذكره – والتي تأسست في أواخر شهر ديسمبر 1883م بعد تسمية مديرها لوي ماشو مدارس ابتدائية فرنسية عربية عديدة في أماكن عدة من البلاد، ولم تكن في مناطق يسكنها معمرون فحسب بل أيضا في جهات لم تكن بها إلا بعض العائلات الأوروبية وكان الإقبال على هذه المدارس من طرف التلامذة المواطنين يتراوح من مكان إلى آخر بحسب الموقف أو الأهمية التي حظيت بها من طرف الأهالي[3].

أما بالنسبة للتعليم الثانوي والعالي المقدم للتونسيين بإنشاء المعهد الصادقي، ثم بعد ذلك مدرسة ترشيح المؤديين التي أحدثت في نهاية السنة 1894م فهو يتمثل في التعليم المؤسسة الزيتونية بمراحله والتي كانت طبعا أكثر تنظيما من المدارس القرآنية.

1 – الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، المصدر السابق، ص140.

2 – الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م، ص56.

3 – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1956 – 1900م، ج1، المرجع السابق، ص638.

وعموما فإن التونسيين المسلمين لم يرضوا بهذه المدارس الاستعمارية وصاروا يهاجمون سياسة فرنسا التعليمية في تونس إلى أن أجبروا السلطة الفرنسية على إدخال اللغة العربية في برنامج المدارس الابتدائية الخاصة بالعرب المسماة، بالمدارس العربية الفرنسية، على أنه لم يكن للغة العربية في بادئ الأمر حظ يذكر، ومكثت إلى سنة 1946م مادة اختيارية في امتحان الشهادة الابتدائية، وبالإضافة إلى هذا كله فإن السلطة الفرنسية بصفة عامة تسعى إلى محاربة إنشاء التعليم في تونس.

ويبلغ عدد الأطفال التونسيين الذين بلغوا سن التعليم 700000، لا يتلقى منهم التعليم سوى 74557 منهم 60296 بالمدارس الحكومية و 14261 بالمدارس الحرة في حين أن عدد الأطفال الفرنسيين وغيرهم من الأجانب الذين يبلغون سن التعليم في تونس لا يتجاوز 78750 يتلقى التعليم منهم 55474 تلميذ، فتكون نسبة الأطفال الملحقين بالمدارس على النحو الآتي: 10% من العرب، و85% من الفرنسيين، وإذا اعتبر عدد السكان تكون النسبة كما يأتي 2.66% من العرب، و1.202% من الفرنسيين، ومن هذه الإحصائيات الرسمية تتضح سياسة فرنسا التعليمية في تونس، وليس الأمر راجعا لقلة إقبال العرب على التعليم أو لوجود أغلب السكان في البوادي كما يدعى الفرنسيون...»[1].

لقد كان التعليم في قرن مطلع العشرين أول مطالب النخبة التونسية التى أثارت برغبتها المحلة في تثقيف أبناء الشعب وبترغيبها العديد منهم في التعليم مما أغضب غلاة المعمرين الفرنسيين المتعصبين لسياسة التجهيل وفي مقدمتهم (هنري تريدون) و(دي كرنيار)، فامتلأت أعمدة صحفهم بمقالات منددة بضرر مدارس أخرجت – على حد قولهم – جماعة من التونسيين الفاشلين لا أمل لها في وظائف عمومية كانت وقفا على الفرنسيين فلم يبق لها إلا الوظائف الهامشية مثل الترجمة الإدارية والحجابة أو بعض المهن الحرة مثل الطب والمحاماة للمحظوظين، ولما اعتبر المعمرون أنفسهم جنسا متفوقا على الجنس العربي المغلوب فإنهم رفضوا أن تتاح للتونسيين فرصة تلقي نفس التعليم الذي يتلقاه الأروبيون في المدارس الفرنسية

[1] – الحبيب ثامر، هذه تونس ،المصدر السابق، ص57–60.

خوفا من أن تتفتح عقول أهل البلاد على معاني الحرية والمساواة فيتطاول على إدارة الحماية[1]، وتسببت الضغوط المسلطة على تلك الإدارة في تراجع التعليم الأهلي فظهر انحدار في عدد المتعلمين التونسيين بالمدارس والمعاهد الفرنسية بين سنة 1837م وسنة 1904م من 4958 تلميذ إلى 2627 تلميذ، وبالرغم من التصاعد الملحوظ في عدد المتعلمين التونسيين بالمدارس الحكومية ابتداء من سنة 1903م فإن عددهم ظل في سنة 1906م بعيدا عما كان في سنة 1897م حسب اعتراف "ماشويل" المدير العام للتعليم بتونس[2].

وبصفة عامة فإن الثلث الأول لهذا القرن شهد تزايد في عدد المدارس القرآنية العربية الفرنسية فانتشرت في المدن وأحدثت في بعض القرى التي لم تعرفها من قبل اللهم إلا في شكل الكتاتيب، بيد أن عددها كان ضئيلا بالقياس إلى مجموعة الناشئة التونسية، ودلت إحصائية 1906م على أن عدد المتعلمين بالمدارس الحكومية بلغ 3289 فتى، بينما ارتفع عدد التلاميذ الفرنسيين والمتعلمين من أبناء الجالية الأجنبية الأخرى إلى 21759.

وفي التقدير الموجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أفادت إحصائيات وزارة الخارجية سنة 1923م أن المدارس الابتدائية الحكومية بلغ عددها 376 وأنها كانت تأوي 17817 تلميذا تونسيا من بينهم 1688 فتاة من مجموع 42306، وأفادت الإحصائية الرسمية لإدارة المعارف في سنة 1929م أن جملة عدد التلامذة التونسيين المسلمين بلغت ما يقارب 28000 في المدارس الابتدائية، وتجاوزت 3500 في المعاهد الثانوية غير مندرج في ذلك تلاميذ التعليم القرآني بالكتاتيب وعددهم –حسب ما في تلك الاحصائيات نفسها – 22000، ولا وجود لطلبة الجامع الأعظم وعددهم في ذلك التاريخ 2000 فتكون الجملة 54444 خمسين ألف في التعليم الابتدائي و5000 وخمسة آلاف في التعليم الثانوي[3].

---

[1] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، الدار التونسية للنشر، 1979 م، ص92.

[2] – Machuel(L),L´Enseignement puplicenTunisie(1883-1906).Tunis:1906.pp(-2-4).

3 – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصدر السابق ،ص(149-150).

لقد بوأت السلطات الاستعمارية اللغة الفرنسية المكانة الأولى في النظام التعليمي الجديد مما جعل تلك اللغة أداة ترقية ونشاطا ضروريا للمشاركة في المناظرات أو الحصول على الوظائف الإدارية أو الإعفاء من الخدمة العسكرية، وقد انتبهت إلى ذلك كل الفئات الاجتماعية فانبرت توجه أبنائها للانخراط في خدمة التعليم الرسمي، غير أن الإقبال على ذلك التعليم سجل انطلاقة حقيقية بعد الحرب العالمية الأولى، وفيما يخص المدارس ونوعيتها فإن هناك صنفان منها، مدارس عمومية بعثتها الدولة وتسيرها بصفة مباشرة، ومدارس خاصة بعثها الخواص مع أن تلك المدارس سواء كانت ابتدائية أو ثانوية عليها أن تدرس اللغة الفرنسية ثم أنها خاضعة لتفقد إدارة التعليم العمومي ومن جملة 135 مدرسة كانت موجود سنة 1900م، نجد 12 مدرسة خاصة أي أن نسبتها تقل عن 9% من عدد الجملي للمدارس لكنها تستوعب لوحدها 3587 تلميذا من جملة 16990 أي 21%من جملة التلاميذ[1].

ومن جهة أخرى فإن هذه المدارس تركزت بالمدن الكبرى والتجمعات السكنية الهامة كما أنها أنشئت بمراكز الاستعمار الفلاحي وهو ما سمح بوصول التعليم إلى عدة مناطق داخلية، فاقترب من الأهالي... وأمام هذا الزحف على التعليم الرسمي شن المعمرون الفرنسيون حملة منذ 1889م للمطالبة بتخفيض وحتى إلغاء تعليم الفرنسية بالنسبة للأهالي، إذ اعتبر أنه أثار في نفوسهم فجأة أفكار الحرية والمساواة التي لم يتهيئوا لها من قبل (...) وتولد عنها تفاقم الكبرياء وطموحات لمثل أعلى بهم، لم يشعر آباؤهم أبدا بحاجة إليها[2] لقد وصل تأثير حملة المعمرين إلى دوائر اتحاد القرار بفرنسا، فدعا وزير الخارجية الفرنسية المقيم العام إلى الحد من تعليم الأهالي، وتوجيه المجهودات والإمكانيات وما يتوفر من إطارات إلى مراكز الاستعمار الأوربي[3] فابتدأت سياسة التراجع عن التعليم قبل القرن 19م، وانخفض عدد التلامذة المسلمين

1 – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر، 1881–1956م، تعريب حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس1986م، ص295.

2 – أحمد القصاب، ،المرجع نفسه، ص(295–296).

3 – خير الدين شتره، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونه، 1900–1956م،ج1، المرجع السابق ،ص (641–643).

من 4656 سنة 1897م إلى 3820 سنة 1900م و3355 سنة 1905م وفي مقابل ذلك تزايد عدد التلامذة غير المسلمين إذ ارتفع عدد التلامذة الفرنسيين بين سنتي 1900م و1905م من 3157 إلى 5121 تلميذ، وارتفع عدد التلامذة اليهود في نفس الفترة من3347 إلى 5533، حيث أغلقت حوالي 10 مدارس يؤمها المسلمون فقط، في مقابل ذلك شجعت السلطات الاستعمارية الأهالي على الاقتصار على التعلم التقليدي الذي يتلقونه باللغة العربية فقط ولعله في هذا الإطار وقع بعث المدرسة العصفورية ترشيح المؤدبين 1997م بهدف مراقبة الكتاتيب ودفع الأهالي لتوجيه أبناءهم إليها.

ورغم احتجاجات مجموعة الشباب التونسي على هذه السياسة، وقع بعث مصلحة التعليم المهني بإدارة التعليم العمومي سنة 1908م، وقد وقف وراء هذا المشروع مدير جديد للتعليم شارتي charlety، غير أن التونسيين لم يقبلوا على هذا التعليم فبقي عددهم به ضئيلا إذ لم يتجاوز 180 تلميذ سنة 1910م و750 سنة 1930م[1]، لكن هذه السياسة التي تهدف إلى الحد من تعليم الأهالي يقع التخلي عنها أمام ضغط الحركة الوطنية التي رفعت مطلب إجبارية التعليم ومجانيته – وستعرف فترة ما بعد الحرب الكبرى تطورا في هذا المجال – فقد تضاعفت ميزانية إدارة التعليم العمومي والاعتمادات المخصص للإنشاءات المدرسية بعد الحرب العالمية الأولى وتزايد عدد المدارس، وتزايد بالتالي عدد التلاميذ من بينهم التونسيون المسلمون فبعد أن كانت ميزانية التعليم سنة 1914م تبلغ 4244465 فرنك أصبحت سنة 1930م 59714958 فرنك، ولاشك أن هذه الزيادات الهامة أثرت إيجابا على تطور التعليم، والمنشآت التعليمية التي بلغت الاعتمادات المخصصة لها سنة 1930م ،20182335 فرنك ونتيجة لذلك تزايد عدد المدارس إذ بلغ عدد الابتدائيات منها سنة 1926م 418 مدرسة سنة 1930م[2].

وإضافة إلى التزايد العددي فإن أهم مؤشر على تطور التعليم العصري في تونس بعد الحرب العالمية الأولى، يتمثل في انتشاره جغرافيا واجتماعيا، إذ أن عددا معتبرا من المدارس

[1] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881–1956م، المرجع السابق، ص297.

[2] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956م، المرجع السابق، ص645.

الموجودة سنة 1930م، فتحت بقرى وتجمعات صغيرة، ورغم أن المناطق الساحلية والمدن بقيت تحتل مكانة هامة فإن العديد من القرى بالساحل والمناطق الشمالية وحتى الجنوبية أصبحت بها مدارس فرنسية عربية، كما خرج التعليم الثانوي من العاصمة إلى مدن داخلية هامة، فأنشأت معاهد ثانوية بكل من بن زرت وسوسة.

وفي الحقيقة فإن ذلك الامتداد الجغرافي للمؤسسات التعليمية كان يهدف الى تقريب المدارس من السكان الأوربيين الموجودين في المناطق الداخلية، بعد أن أصبحوا على الاستقرار بالأراضي التي تمنح لهم قصد استغلالها المباشر، فاقتربت المدارس من سكان المناطق الداخلية الذين أصبحوا يرسلون أبنائهم أيضا للدراسة بها [1]، من جهة أخرى كان انتشار التعليم العصري سببا في تضييق الآفاق المهنية لخريجي الجامع الأعظم فاندفع طلبته في حركة احتجاجية على السياسة الاستعمارية بغية تعصير التعليم الزيتوني وفتح الآفاق أمام خريجيه، كما ساهمت الظرفية السياسية العامة للبلاد في انطلاق الحركية الطلابية سوى الزيتونية أو التونسية بفرنسا وفي ما يتعلق بالتعليم العالي فإنه لم تكن لفرنسا سياسة واضحة في هذا المجال، إن لم نقل أنّها كانت غامضة في الغالب فالتعليم العالي هو ذلك التعليم الذي تؤمنه المؤسسات التي تفوق الدرجة الثانية من التعليم أو ذلك الذي لا يتوجه إلى تلاميذه المعاهد والمدارس الثانوية.

[1] – شارل اندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985 م، ص115.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية ودورها الوطني في المجال الديني والتعليمي.

01-الهيئات الدينية.

02-التيار الصوفي في تونس.

03-المؤسسات التعليمية بتونس.

04-دور رجال الفكر والثقافة.

.

01- الهيئات الدينية:

1-1 جامع الزيتونة، ودوره في النضال ضد الاستعمار الفرنسي:

*تتفق أغلب الروايات التاريخية أن تأسيس جامع الزيتونة سنة 141 هـ، حيث أخذ ينشئ مجده العلمي، ومن حين لآخر كان يبرز فيه رجال يشتهر علمهم إلى أن تحول مجد القيروان عاصمة الأغالبة إلى تونس التي أرجع لها الملك في دولة الموحدين بتونس (1160-1229م) والحفصين (1228-1574م) فكان ذلك بداية ازدهار العلم والتعليم بتونس.

وفي القرن الخامس الهجري بعد الزحف الهلالي انتقل مركز الإشعاع العلمي إلى جامع الزيتونة بتونس[1]. ومن أشهر الثوار الزيتونيين (على بن غذاهم[2]) صاحب الثورة المشهورة ضد ظلم العائلة المالكة وطغيانها، أما أشهر القادة الزيتونيين مواجهة للحماية الفرنسية والعظام الشيخ عبد العزيز الثعالبي زعيم الحركة الوطنية في تونس ومؤسس الحزب الدستوري القديم ومحي الدين القليبي[3] والشيخ راجح إبراهيم والكاتب الكبير الأستاذ محمد المنصف المستيري[4] صاحب جريدة الإرادة لسان حزب الدستوري القديم وشاعر الثورة والشاب المشهور أبو القاسم الشابي من الزيتونة وغيرهم، ويكفي الزيتونة فخرا أن رجال النهضة الإصلاحية في تونس جلهم من الزيتونة (الشيخ سالم بوحاجب، الشيخ أقبادو، والشيخ بيرم الخامس...).

*كانت سنة 1930م هي السنة التي مضى فيها على احتلال الفرنسيين للبلاد التونسية 50عاما ومناسبة قرر فيها الفرنسيون احتفالية للإثبات للرأي العام رسوخ قدمه ونجاحه في فرنسة التونسيين عن طريق التنصير حيث سعوا إلى التأكيد على فشل الثقافة العربية، والنهضة

---

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ط2، دار المعارف، ص 219.

[2] – علي بن غذاهم: هو علي بن محمد بن غذاهم الماجري ولد سنة 1814م وتوفي سنة 1867م بحلق الوادي تلقى نصيبا من العلم في جامع الزيتونة تعلم الطب والقضاء من والده قاد ثورته المشهورة ضد الظلم سنه 1864م

[3] – محي الدين القليبي: ولد بتونس سنة 1901م مناضل وطني، صحفي وسياسي توفي في 01 ديسمبر 1954م.

[4] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية، المصدر السابق، ص 149.(أما محمد المنصف المستيري: فولد يوم 2 جويلية 1925م بضاحية المرسى زيتوني محام وسياسي تونسي أحد قياديي الحزب الدستوري).

عن طريق تطوير التراث وملائمته لروح العصر، فدعو إلى عقد مؤتمر بتونس سمي المؤتمر الأفخاريستي والذي كان مصيره الإخفاق على المستوى الفكري والعلمي ويعود سبب فشل هذه الحملة الصليبية إلى الحملات الصحفية العنيفة التي قادها المثقفون التونسيون وفي مقدمتهم أبناء الزيتونة الذين فضحوا المؤتمر وادعاءاته وكان للدور العظيم الذي لعبه جامع الزيتونة الأثر البالغ في نفوس التونسيين كما استطاعوا الالتقاء مع المؤتمرين في حوار فكري كانت نتيجته أن أقحموهم وأثبتوا لهم إفلاس الفرنسة وفشل سياسة محو الذاتية التونسية والقضاء على مقومات البلاد[1].

*في سنة 1932م التف الطلبة الزيتونين ومدرسوهم حول حزب الدستوري القديم في مناهضة التجنيس الذي أصدرته الحكومة الفرنسية قصد فرنسة التونسيين، وساهموا مساهمة فعالة في إظهار ما يهدف إليه هذا القانون من تقسيم الشعب وإذابة العنصر الوطني في الكيان الفرنسي ورغم الموقف المتخاذل الذي وقفه بعض الشيوخ الذين دفع بهم سوء فهمهم لما ينجر عن هذا القانون من أخطار على المستوى الوطني راح بعضهم يفتون في أن المتجنس لا يعد كافرا ويجوز له الدفن في مقابر المسلمين، وقد وقف الشعب وقفة رجل واحد ومنع دفن بعض المتجنسين في مقابره مما أجبر فرنسا على اتخاذ قرار بتكوين مقابر خاصة بالمتجنسين[2].

*رغم جمود أساليب الدراسة ومناهجها في الزيتونة فإن ذلك لم يمنع هذا المعهد الجليل أن يواجه الحركة الوطنية التونسية بروحه وتعالميه وقيمه ورجاله منذ الاحتلال الفرنسي حتى ظهور الحزب الدستوري[3] الجديد سنة 1934م، فقادة الحزب الدستوري القديم وفي طليعتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي كلهم خريجي الزيتونة... والانتفاضات الشعبية والثورات المسلحة التي قامت في فترات مختلفة أثناء الاحتلال التي كانت تستهدف المستعمر وظلمه وطغيانه...

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص222–223.

[2] – الطبابي حفيظ، صراع الهوية، الزيتونه والزيتونيون في معترك النضال الوطني والاجتماعي، أعمال الندوة الدولية 11 تونس 2003 م، ص 433.

[3] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونه 1900–1956 م، المرجع السابق، ص 715–716.

كانت مقتبسة من روح الزيتونة وما يمثله من قيم خالدة مما ساعدها على أن تطلق شرارتها الأولى رغم إحاطة بعض أبناء الزيتونة بالثقافة الفرنسية أمثال الشيخ عبد العزيز الثعالبي قائد الحزب الدستوري القديم فإنه لا قادة الحركة الوطنية ولا المسؤولين على تسيير جامع الزيتونة عملوا حقا ما فيه الكفاية لإدخال إصلاحات جديدة على أساليب التدريس ومناهج الدراسة بالجامع. ولعل السبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى عدم توفر المدرسين الأكفاء للقيام بهذه المهمة التي كانت تتطلب حدا أدنى من الإلمام بالعلوم العصرية والقدرة على تلقينها باللغة العربية وهو ما لم يكن متوفرا في تونس ولا في عموم الوطن العربي نظرا للضعف الذي كان يشكو منه. وذلك لوقوف الاستعمار حجر عثرة في سبيل هذا التطوير لمنع اللغة العربية من أن تكون أداة للنهضة المنشودة[1]. ولعل أقدم عمل إصلاحي عرفته الزيتونة هو إنشاء معهد الخلدونية ليكون تابعا لها ومتعاونا معها على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة العلوم العصرية من طبيعة وكيمياء ورياضيات وتاريخ وجغرافيا ولغات أجنبية تنتهي بالإحراز على شهادة البكالوريا العربية التي تهيأ الطلبة للالتحاق بأكبر الجامعات العربية في المشرق للتخرج في هذه المواد ومن ثم يمكن إمداد جامع الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الإصلاح المنشود بالزيتونة، وفي سنة 1933م وبعد كفاح شاق استطاع رجال الإصلاح بالزيتونة أن يحرزوا على موافقة الحكومة على برنامج الإصلاح الذي طالبوا به[2]. وفي سنة 1947م أدخل على معاهدها الثانوية التي تكاثرت لتشمل كل أنحاء البلاد وبهذا أخذت الزيتونة في تكسير عقدة النقص التي لحقت بها بسبب عدم ملائمة برامجها للحياة العصرية[3].

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص 221.

[2] – مختار العياشي، البيئة الزيتونية 1910–1945م، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، تع حمادي الساحلي، دار تركي للنشر، 1990م، ص146.

[3] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص 222.

*لعب بعض رواد الزيتونة في حركة الإصلاح الاجتماعي والثقافي دورا خطيرا من أمثال أبو القاسم الشابي والطاهر الحداد.

فالشابي أثار بكتيبة (الخيال الشعري عند العرب) ضجة كبرى في الأوساط الأدبية والفكرية لما احتوى عليه من أراء فحواها أن الأدب العربي خال من الخيال الشعري. مغرق في المادية لايقوى على مجارات الآداب الغربية[1].

حيث هاجمته الصحف الدستورية مهاجمة عنيفة ووجه له تهم خطيرة كالإلحاد من طرف بعض القوى المعادية للتجديد بسبب قصائده. أما الطاهر الحداد[2] أحد رفقاء محمد علي الحامي مؤسس الجامعة العامة للعمال التونسيين تعرض إلى اضطهاد شديد بسبب كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) وهو كتاب يحتوي على جزءين جزء في التشريع والآخر في الاجتماع. فالقسم الأول يتناول موضوع تطوير التشريع الإسلامي بحيث يلغي العمل ببعض النصوص الصريحة إذا تعارضت مع المصالح المستجدة التي يقرها العقل وتتلاءم مع مقاصد الشرع. ويتناول مسائل من أحكام الشريعة تتعلق بالمرأة كمسألة تعدد الزوجات ومسألة تنصيف الميراث فأبدى رأيه في ضرورة العدول عما يقتضيه النص فيها[3].

أما القسم الاجتماعي فقد حلل فيه أطوار الحياة المرأة التونسية من ولادتها إلى أن تصير أُمّا. وكان لظهور هذا الكتاب حركة فكرية كبيرة في أوساط جامع الزيتونة وسعت (النظارة العلمية) لدى الحكومة لتحصل على أمر منها بمصادرته فلم تفلح. لكنها لم تقف عند هذا الحد بل شكلت لجنة من كبار علماء الشريعة لتصرح برأيها في الكتاب. فكان أن نظرت فيه وقدمت تقريرا احتوى على مأخذها عليه. وترتب على تقرير اللجنة سحب شهادة الطاهر الحداد الزيتونية وحرمانه من حقه في العمل. وكتب بعض رجال الشريعة كتبا في الرد عليه مثل الشيخ محمد

[1] – مصطفى فاسي، البطل في القصة التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص55.

[2] – الطاهر حداد: مؤلف ونقابي تونسي من مواليد 1899م قام بحملات تدعو لتطور المجتمع التونسي في مطلع القرن العشرين توفي يوم 7 ديسمبر 1935م.

[3] – الطاهر حداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، المطبعة الفنية، تونس 1930 م، ص 40.

الصالح بن مراد الذي ألف كتاب (الحداد على امرأة الحداد) والشيخ عمر بري المدني مؤلف كتاب (سيف الحق)[1].

أما أنصار التجديد فقد التفوا حول الطاهر الحداد وأقاموا حفل تكريم، حضره جمع غفير من المفكرين. وألقيت فيه قصائد تشيد بالمؤلف وسعة مداركه فما كان إلا أن تعرض كل من حضر هذا الحفل للتهجم الشديد من طرف بعض العناصر في الحزب الدستوري القديم... وللطاهر الحداد مؤلف أخر بعنوان (العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية) تناول فيه بالتفصيل أوضاع العمال التونسيين المزرية. وقد دافع دفاعا شديدا عن العمال وسلط الضوء على مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية ويعتبر الحداد أول مؤرخ تونسي للحركة العمالية عضدا ونظيرا لمحمد علي الحامي الذي دافع عن حركته في كتابه هذا دفاعا قويا[2].

وكان اختيار الخلدونية مقرا لانعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام التونسي للشغل بزعامة فرحات حشاد في 20 يناير سنة 1946م أكثر من مغزى. حيث سعى المؤتمرون وأغلب عناصرهم القيادية من الزيتونة إلى التركيز على مدى ارتباط (المولود الجديد) بالقيم والمبادئ الروحية والحضارية النابعة من صميم الأمة العربية وصفاء الإسلام. وكان في ذلك تحد للقوى الاستعمارية والفرنسية وتحذير للنقابات الفرنسية من مغبة التمسك بموقفهم المصر على إبقاء العمال التونسيين تحت سيطرتها لتستمر في استغلالهم البشع[3]. وكان فيه تطمين الشعب والقوى الوطنية بالبلاد بأن العمال سوف يعملون على تمتين الصلة بأمتهم وتقوية الروابط التي تشدهم إلى قيمها الروحية الخالدة كما أنهم يلتزمون بالعمل على إحياء مجدها والمساهمة في النضال من أجل حريتها وكرامتها.

---

[1] – عبد السلام بن حميدة، الحركة النقابية الوطنية الشغيلة بتونس، 1924.1956، ج2، تر جماعية، دار محمد علي الحامي للنشر ، ص127.

[2] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص223–224.

[3] – عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، الفصل العشرون، تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881–1945م تكملة حمادي الساحلي ص167.

وانعقد في 28 أغسطس من نفس السنة المؤتمر الوطني الكبير المعروف بمؤتمر ليلة القدر) وضم كل القوى الوطنية على اختلافها وقد شارك الزيتونيون مشاركة فعالة في عقد المؤتمر الذي طالب بالاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية والمنظمات والهيئات الدولية وهكذا فإن الحركة العمالية الاجتماعية بتونس كانت في نشأتها زيتونية ثم إنها وجدت من أبناء الزيتونة من الرعاية ما مكنها من الاستمرار في السير في طريقها الوطني الصحيح ومن تحمل أعباء النضال النقابي والوطني ضد القوى الاستعمارية الغاشمة وواجه أعضاؤها بقوة المؤمن وصبره وجلده التهديد والإرهاب وحتى الاختطاف والاغتيال وما ضعفوا وما استكانوا[1].

*أثر الإضراب العام الذي أعلنه مدرسو الزيتونة في نوفمبر سنة 1943م وأجبروا فيه السلطات الاستعمارية على الاستجابة لمطالبهم ومنحهم حقوق موظفي الدولة بعد أن أيدهم الشعب تأييدا كاملا بالمظاهرات، شعر طلاب الزيتونة بالارتباك الذي حدث للاستعمار فتشجعوا وأقبلوا على تكوين الجمعيات الطلابية فأسسوا في سنة 1944م جمعية (مكتبة التلميذ الزيتوني) وبعد ذلك جمعية (التوادد الزيتوني) التي أصبحت فيما بعد تسمى باسم «الإخوان الزيتونيين» وأسهمت كل منها في توحيد الطلبة وتنظيم صفوفهم والرفع من مستواهم...[2]

*كانت موافقة الحكومة على برنامج الإصلاح الزيتوني انتصارا عظيما للزيتونة ورجال الإصلاح فيها[3]. وإثر أحداث الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين وما صاحبه من تحمس شعبي عام لقضية العرب بفلسطين ودعوة إلى مقاومة الصهيونية والرفض للقرار التقسيم[4]. شددت الحكومة قبضتها على الزيتونة التي تعتبرها بؤرة لحركة القومية العربية ومصدر التحريك

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص 224–225.

[2] – محمد ضيف الله، في ظاهرة العنف الطلابين الطلبة الزيتونيون في فترة المقاومة العنيفة 1952–1954م، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1995م ص 47.

[3] – محمد ضيف الله، الطلبة التونسيون والمسائل الوطنية 1955–1956م ضمن أعمال الندوة الثانية عشر، للمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2006، ص5.

[4] – محمد ضيف الله، تراجم الناشطين في الحركة الطلابية التونسية 1910–1991م، سلسلة البحوث الجامعية، منوبة، ط1، ص56.

الشعبي. فأخذت تعمل على عرقلة الإصلاح الزيتوني فقاومت إنشاء الفروع ومنعت المدرسين التابعين لإدارة العلوم ومعارف من إلقاء الدروس بالمعاهد الزيتونية ومعهد الخلدونية. كما حرمت على المدرسين المبعوثين من الشرق الدخول إلى تونس مما سبب عجزا كبيرا في إنجاز برنامج الإصلاح... وفي هذا الجو المليء بالأحداث الخطيرة على الصعيدين الداخلي والعربي شعر الطلبة الزيتونيون بضرورة تكوين تنظيم قوي يدافع عن مصالحهم ويساهم في حركة النضال الشعبي الذي تخوضه البلاد لنيل حريتها والدفاع عن عروبتها فكونوا منظمة أطلقوا عليها اسم (منظمة صوت الطالب الزيتوني) وقد شارك في بعث هذه الحركة عدد من الشباب الزيتوني من مختلف الاتجاهات السياسية ولكن ارتباط اسم الحركة بأشخاص بارزين مثل الشهيد عبد العزيز العكرمي وذلك لصمودهم وثباتهم على مبادئ الحركة وأهدافها القومية العربية الشاملة بالرغم من الظروف الصعبة والضغوط الشديدة ومحاولات التصفية التي تعرض لها بعضهم ومن قادة الحركة أيضا عبد الكريم قمحة وعبد الكريم قريسة والإخوان الزين وخميس الوسلاتي وتونس الرويسي والشيخ محمد البدوي العماري وغيرهم. ويعد الشيخان عبد العزيز العكرمي الشهيد والشيخ محمد البدوي هما المؤسسان للحركة الزيتونية: فأعدم العكرمي ونفي البدوي مشردا. ليواصل نضاله خارج تونس وما لبثت هذه الحركة أن دخلت في صراع مع السلطة بسبب إصرارهم على المطالبة بالإصلاحات وذلك بتنظيم الإضرابات وقيادة المظاهرات واصطدموا مرات عديدة مع السلطات الاستعمارية وسقط منهم العديد من الشهداء أمثال الدهماني حمزة ومحمد المرزوقي[1].

وقد استطاعوا بفضل كفاحهم المرير أن يجبروا السلطات الاستعمارية على الاستجابة لهم وقبلت بتحقيق مطالبهم وأصدرت المراسيم بإحداث شعبة التعليم العصري وشهادة التحصيل العلمي والعصري التي تؤهل للتعليم العالي بجامعات المشرق. وفعلا سافر عدد كبير من حاملي شهادة التحصيل إلى المشرق العربي وتخرجوا من جامعاته في جميع الاختصاصات

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص 225–226.

وزاولوا بعد تخرجهم مهنة التدريس بالمعاهد الثانوية. كما تخرج عدد آخر هائل منهم من الجامعة الزيتونية ومعهد البحوث الإسلامية و(معهد الحقوق العربي) و((معهد الفلسفة)) التابعة كلها للخلدونية كما تم إنشاء بنايات جديدة لتكون معاهد وأحياء سكن للطلبة. ولكن الحركة اصطدمت بسبب مواقفها العنيفة بكثير من العناصر الوطنية.ى وكان لاختلاف وجهات النظر في تحقيق الإصلاح أثر في هذا الصدام. ربما كان لاندساس بعض العناصر في حركة صوت الطالب والحزب الدستوري الجديد دور في توسيع شقة الخلاف وبحل النظام الزيتوني انتهى دور الجمعية.

وجملة القول إن جامع الزيتونة بتونس حمل لواء الثقافة القومية مالا يقل عن اثني عشر قرنا ونصف وحافظ على المقاومة الحضرية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة القومية مهددة بالمحو والشخصية القومية عرضه للمسخ. وقد استطاع جامع الزيتونة إنشاء جسر دائم يربط بينه وبين الجماهير الشعبية التي كانت تنظر إليه على أنه الحارس الأمين للتراث القومي وتشعر بعمق الصلة التي تربطها بأبنائه أمثال عبد العزيز الثعالبي والطاهر الحداد وأبي القاسم الشابي وغيرهم[1].

وقد عمل الاستعمار والرجعية على إعاقة تطوره ومنعه من تعصير مناهجه وأساليبه بحيث تواكب تطور العلم وتستجيب لمتطلبات الحياة العصرية. وبذلك تحول بين اللغة العربية وبين أن تصبح أداة للنهضة الفكرية الشاملة. وتمنع الزيتونيين من قيادة النضال والحركة الوطنية. ولكن ذلك لم يمنع جامع الزيتونة من أن يساهم مساهمة فعالة في الحركة الوطنية بأبنائه وقيمه وروحه. فكان الحزب الدستوري القديم زيتونيا كما أسهم العصر الزيتوني إسهاما فعالا في تكوين الاتحاد العام التونسي للشغل. وكان نضال المصلحين الزيتونيين مريرا[2] وفي الوقت نفسه انتصرت حركة الإصلاح الزيتوني وأخذت تؤتي أكلها وبدأ يظهر جيل جديد من

[1] – الصادق الزمرلي، تونس في عهد المنصف باي 1942–1943م بين الرجاء وخيبة الأمل، تق تع حمادي الساحلي، ط1 تونس 1989م، ص51.

[2] – محمد الأزهر الغربي، تونس رغم الاستعمار، ط1، تونس 1989م، ص 38.

أبنائها أكثر تفتحا وأشد تلاؤما مع متطلبات العصر. كان القرار قد اتخذ من أعلى سجل النظام الزيتوني تدريجيا. وهكذا بقرار قاس ساهمت ولا شك في صنعه الأحقاد والدسائس تم القضاء على نظام تعليمي عريق كان من الممكن أن يتطور لتصبح معاهده الثانوية على غرار المدارس العريقة في أوربا مثل مدارس النحو بإنجلترا وجامعته على منوال الجامعات الأوروبية الشهيرة كالسوربون بفرنسا وأكسفورد وكمبردج بانجلترا[1].

02- التيار الصوفية في تونس:

2-1 الطريقة التجانية:

ظهرت الطريقة التيجانية على يد مؤسسها سيدي أحمد التيجاني (ت 1814م) بالجنوب الجزائري، وكان دخولها إلى البلاد التونسية في مطلع القرن 19م على يد سيدي إبراهيم الرياحي (ت 1850م)، حيث كانت أول زاوية للطريقة التجانية بالبلاد التونسية، وتركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست سنة 1814 م زاوية بتوزر ثم ثانية سنة 1926 م، كما كان لها أتباع بالمنطقة[2]، في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي، إلا في مطلع النصف الثاني من القرن 19م منها زاوية الشاوش صالح بباجة سنة 1846 م وأخرى ببنزرت سنة 1860 م وبباب المغارة سنة 1875 م وزاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة، والتي ولد بها محمد الشريف التيجاني على الأرجح سنة 1886 م والذي كان والده قد خلف أباه في مشيخة الزاوية سنة 1868 م[3].

ومن نشاطات محمد الشريف التيجاني (1886 م -1942 م) هو إصداره لثلاث جرائد هي جريدة المنصف وهي جريدة علمية سياسية أسبوعية صدر عددها الأول في 20 أكتوبر 1907 م، والمتأمل في المسائل التي وقع التطرق إليها في افتتاحياتها يلاحظ قضايا حساسة

[1] - الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص 227.

[2] - العجيلي التليلي، أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين، تونس 1989م، ص189.

3 - المرجع نفسه ص 137-138.

تعيشها البلاد التونسية آنذاك كالمجلس الشوري ففي مقال بها بهذا العنوان وبإمضاء محمد الشريف التجاني وقع التركيز على انعدام جدوى تلك المؤسسة الاستشارية وقد تم إيقافها في 17 أفريل 1918 م لأسباب مادية، وما يمكن القول عن محتوياتها أنها توحي بأن موقفها بالنسبة إلى تلك الفترة لا تخلو من أهمية ليس فقط لافتقادها بعض نواقص السياسة الفرنسية في تونس، بل كذلك لسعيها إلى إيقاظ الهمم والدعوة إلى اليقظة مما جعل البعض يرجع سبب إيقافها إلى أرائها الطليعية، وأن صاحبها وقع جره من طرف بعض معاونيه إلى ما لم يكن يرغب فيه بل هناك من اعتبر محمد الشريف التيجاني من ألد أعداء الإدارة الفرنسية وأن طريقته مدرسة دينية قوامها المحافظة على اللغة العربية وتعاليم الإسلام في ظل نظام إستعماري يسعى للقضاء على الهوية وإستبدالها بثقافة غربية غاشمة[1].

2-2 الطريقة القادرية:

لقد أسس التونسيون للطريقة القادرية فروعا وزوايا تابعة لها في مناطق تونسية متعددة منها نفطة وقفصة (محمد العربي) الكاف (محمد الأزهر) قابس (الحاج أحمد)... وهكذا نرى أن زاوية نفطة القادرية قد تفرعت إلى هذه الفروع الصغيرة والكثيرة، والتي ترجع في الواقع إلى عائلة واحدة ولاشك أن انتشار زاوية نفطة بالسلسلة القادرية عن طريق الشيخ: علي بن عمار النزلي الشائب ،لها ورد طويل قد يطول عن ورد الطريقة الأصل ببغداد[2].

أما زاوية الكاف فقد أسسها محمد المازوني (الميزوني)، وقد لعبت دورا متعدد الجوانب، ومنذ أواخر القرن19 كانت الزاوية القادرية في توزر مهتمة بالتعليم ، وكان صاحبها الشيخ إبراهيم هو أبرز شيوخ القادرية إلى جانب الشيخ الميزوني صاحب زاوية الكاف ويهمنا في زاوية توزر أن فروعها كانت نشيطة جدا في الجهة الشرقية للبلاد التونسية من حيث نشر تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية وتسيع إنتشارها على أكثر قدر وكانت مواجهتها للحماية من

1 – العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، 1881–1939م، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس 1992 م، ص 44.

2 – العجيلي التليلي، المرجع نفسه، ص 78.

خلال عدم توقف نشاطها طيلة فترة الحماية التي كانت تسعى للقضاء على الهوية الإسلامية والعربية[1].

03- المؤسسات التعليمية بتونس:

3-1 المدرسة العليا للغة والآداب العربية:

تأسست في أكتوبر 1911م وأسندت مهمة تسييرها إلى المستشرق الفرنسي "ويليام مارسي"[2] غير أنّ هذه المدرسة لم تكن تسند في البداية إلى روادها شهادات جامعية، بل كانوا في الغالب من المستمعين الأحرار، وبموجب أمر 16 فيفري 1922م وضعت هذه المدرسة في نفس المرتبة مع المدرسة الصادقية، وخلال سنة 1944م وقبل اندماج المدرسة في معهد المدارس العليا بتونس (قسم اللغة العربية) عام 1945م، كان عدد الطلبة المرسمين بالمدرسة يقارب المائتين، ولم يرتق التكوين المقدم لطلبتها على امتداد أكثر من 34 سنة إلى مستوى رفيع يخل لخريجها مواصلة دراستهم العليا بقسم اللغة والآداب العربية بإحدى كليات فرنسا أوالمشرق العربي[3].

3-2 مركز دراسة الحقوق بتونس:

تأسس عام 1920م على يد الأستاذ ركتنفالد، بهدف إعداد الطلبة لاجتياز امتحان الإجازة في الحقوق بكلية الحقوق بالجزائر على امتداد ثلاث سنوات، تقضي إلى شهادة الكفاءة في القانون التونسي، وإضافة إلى هذين المركزين أنشأت الإدارة الفرنسية قصد تلبية احتياجاتها الذاتية من الأيدي المؤهلة عدة مدارس ومعاهد مثل: (مدرسة الفنون الجميلة – المدرسة العليا

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998 م، ص 48.

[2] – ويليام مارسيه: 1872-1956م مستشرق فرنسي اهتم باللغة البربرية واللهجات العربية من آثاره ترجمة (ديوان أوس بن حجر التميمي) إلى الفرنسية.

[3] – AYACHI MOHAMED;Ecoles et Societes en Tunisie(1930-1958).these de Doctorat d etat en histoire sous la direction de Mr:Ali Mahjoubi.faculte des sciences humaines et sociales de Tunis 1997,pp(179-181).

للتجارة – المدرسة التونسية للإدارة – المدرسة العليا للفلاحة[1]، ويمكن أن نضيف إليها الأقسام العليا للآداب والرياضيات الخاصة بمعهد كارنو، وإلى جانب هذه المؤسسات التي لم تكن تابعة لإدارة التعليم العالي نجد بعض المؤسسات التي تخصصت في البحث العلمي في بعض الميادين وهي: (معهد بالدستور، معهد علم المحيط، معهد أول ألوان، مصلحة الفنون والآثار، المكتبة الوطنية (مارس 1885 م).

لم تتواصل الإدارة الفرنسية على امتداد قرابة 75 سنة من الحضور بتونس من تحقيق انطلاقة حقيقة للتعليم العالي العصري بتونس على غرار ما عرفه التعليم العالي السائد بالجزائر التي بعثت بها جامعة عصرية منذ سنة 1909 م ويعزى هذا المجهود المتواضع إلى غياب سياسة واضحة المعالم في هذا الميدان إلى حدود الحرب العالمية الثانية.

3-3 المدرسة الصادقية:

تعتبر هذه المدرسة من أهم المشاريع التي قام بتأسيسها خير الدين سنة1875م، وقد كانت تدرس مختلف العلوم الحديثة بالإضافة إلى اللغات، وكان بعض طلبتها المتخرجين يسافرون إلى فرنسا لمواصلة التعليم العالي، ويرى بعضهم أنها كانت أنذاك إحدى معاقل القومية التونسية فأنجبت نخبة مناضلة من الشباب التونسي المثقف، ويشير إلى صمودها في وجه محاولات المسخ، ومحاولة المستعمر التدخل في العمل على تغيير برامجها لتحويلها عن الهدف الذي أنشئت من أجله منذ مؤسسها خير الدين الذي كان يوليها عناية كبيرة حتى أنه كان يحضر امتحاناتها ليطمئن على مستواها.

وقد ندد عبد العزيز الثعالبي سنة 1920م بعبث حكومة الحماية بأموال هذه المدرسة[2]. وكتب محمد بورقيبة عدة مقالات سنة 1932م معارضا مشروع إصلاح، ماسخ لبرامجها حيث كان الداعي إلى هذا الإصلاح وهو ديبوا الفرنسي يسعى من ورائه إلى جعلها تقتصر على

[1] – بن يوسف عادل، النخبة العصرية التونسية، تونس: دار الميزان 2006م ص45-62.

[2] – محمد ضيف الله، الحركة الطلابية التونسية (1927-1939م)، المرجع السابق، ص264.

تخريج المترجمين وصغار الموظفين[1] وقد وجد من بين التونسيين من يرى في الصادقية رأيا آخر، إذ يعتبر الدارسين فيها مجموعة من أبناء البرجوازية، وهؤلاء أنفسهم الذين كونوا نادي قدماء الصادقية، وهؤلاء الذين كانوا أكثرا ارتباطا – من غيرهم – بفرنسا وثقافتها[2].

وقد مرت الصادقية بدورها بعدة إصلاحات كان من بينها إصلاح بول كامبون سنة 1882م، إذ خصص لها مجلسا إداريا، وغير البرامج تغيرا جذريا واستبدل بالعربية الفرنسية في تدريس أهم المواد الحية، كما بادر المستشرق دالماس الذي تولى إدارتها إدخال تغيرات على البرامج قرّبت التعليم الصادقي من التعليم الثانوي العصري، وأضاف إلى ذلك دروسا خاصة في الترجمة والقانون الإداري والفقه الإسلامي[3].

لقد كان الاهتمام بهذه المدرسة في السنوات الأولى من تأسيسها كبيرا. ويبدو أن ما فيها كان عظيما حتى أن الملك نفسه حضر سنه 1997م حفل توزيع الجوائز على طلبتها المتفوقين وقد صار هذا الحفل يعتبر عيدا شعبيا سنويا[4].

ومع ذلك فقد ظلت نسبة التخرج فيها ضعيفة ففيها بين 1893 و1905م كان معدل التخرج ثلاثة طلاب في كل سنتين إذ كان المتخرجون في هذه المدة ثمانية عشر طالبا فقط[5].

وقد وصل عدد تلامذة هذه المدرسة سنة 1906م إلى 340 تلميذا، وظل يتضاعف ولكن ببطء شديد.

3-4 الخلدونية:

تأسست هذه المدرسة بقرار وزاري سنة 1896م وكان هدفها النهوض بالعلوم العربية مثل الرياضيات والعلوم والطب وغيرها[6].

---

[1] – محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986م، ص284.

[2] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق ص: 35- 36.

[3] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، المرجع السابق، ص: 93.

[4] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصدر السابق ، ص:45.

[5] – محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، المرجع السابق، 309-310.

[6] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ،المصدر السابق، ص 70-71.

ونظمت الخلدونية دروسا باللغة العربية في التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضة ورسم الأراضي والاقتصاد واللغة العربية، فأقبل عليها الشبان من طلبة جامع الزيتونة إقبالا عظيما.

ونظرا لشهرة هذه المدرسة فإن طلبتها لم يكونوا من التونسيين وحدهم ولكن أقبل عليها طلبة من الجزائر والمغرب الأقصى أيضا، وكان لمنهج التدريس فيها تأثير كبير في مناهج التعليم في المدارس والمعاهد الأخرى وخاصة تلك التي مازالت في نقص من بعض المواد العلمية مثل الزيتونة وغيرها.

ويذكر بعضهم أن تأسيس الخلدونية كان يقصد به إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة، ومساعدة طلبة جامع الزيتونة على تحسين مستواهم العلمي[1]. وقد تخوف المحافظون من هذه المدرسة ومن أهدافها، فلجأ مؤسسوها إلى دعوة بعض أساتذة جامع الزيتونة للمحاضرة بها[2].

أما المعمرون فقد تخوفوا منها تخوفا أكبر حتى قال عنها كرنيار الناطق باسمهم: (إذا ما قدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية)[3]

ولعل من المفيد أن نتعرف على أهداف هذه الجمعية بشيء من التفصيل حتى نعرف الدور الذي قامت به في مجال الثقافة وتكوين جيل من المتعلمين تعليما عصريا حديثا مزدوجا.

وقد ضبط الفصل الثاني من القانون الأساسي أهدافها كما يلي: مقصد الجمعية البحث عن الوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف لدى المسلمين، ولذلك كان من عزمنا خصوصا...

أولا: أن ترتب (الجمعية) دروسا وخطبا ومحادثات في علم التاريخ والجغرافيا واللسان الفرنسي والاقتصاد السياسي وعلم حفظ الصحة والطبيعية والكيمياء وغير ذلك.

ثانيا: أن تسهل وسائل الاستكمال في المعارف على من هو أهل لذلك.

ثالثا: أن تعين على إنشاء مكتبات.

---

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص33.

[2] – شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، المرجع السابق: ص74، 77، 75.

[3] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، المرجع السابق، ص:15.

رابعا: أن تحدث جريدة تنشرها بالعربية والفرنساوية، والغرض من هذه الجريدة أن تعين على تعريف التمدن العربي للفرنساويين والتمدن الفرنساوي للعرب[1]. هذا ما كان مسطرا في البرنامج التعليمي والتثقيفي للخلدونية ولعل الكثير منه يكون قد تحقق بالفعل. وكان التعليم في هذه الجمعية في البداية ينقسم إلى دروس رسمية وأخرى اختيارية، ثم تطور بعد ذلك ليصبح منقسما إلى ثلاثة أقسام هي:

- التعليم العالي: وهو عبارة عن محاضرات في مختلف العلوم الأدبية والعلمية يقوم بها محاضرون مختصون.
- والتعليم الثانوي: ومدته سنتان تدرس فيه مواد مختلفة.
- والتعليم الابتدائي: وهو أربعة أقسام ثلاثة منها بالعربية والرابع بالفرنسية[2].

وهكذا فقد كانت الخلدونية ملتقى ومنبرا لمناصري الأدب الحي، وعلى العموم فقد كان المعمرون الفرنسيون – كما ذكرت سابقا – ضد التعليم للفرنسيين في تونس، وإذا كان منهم من يدعو إلى تعليم التونسيين الفرنسية لأجل استلابهم ثقافيا فإن المتشددين والمتطرفين أمثال كرنيار كانوا يحابون حتى هذا التعليم الفرنسي ويرون – على عكس ذلك – ضرورة تعليم الإنسان الفرنسي اللغة العربية لمعرفة من يتعاملون معهم عن قرب.

ومع ذلك فقد وجد من بين الفرنسيين أنفسهم – ومن غير المعمرين طبعا – أناس نزهاء يدافعون عن تعليم الأهالي، ومن بينهم السيد ماشويل المدير العام للتعليم بتونس في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن حتى اتهم بأنه أخرج (بروليتاريا مثقفة) و(جماعة فاشلة)، فكان هذا الرجل يدافع عن رأيه بأن إدارة الحماية كانت تحتاج إلى توظيف أناس غير فرنسيين في حالة عدم تكوين التونسيين[3].

[1] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، المرجع السابق، ص16 –17.

[2] – أحمد خالد، المرجع نفسه ص90.

[3] – عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص70.

وعلى الرغم من أن المدارس ذات التعليم الفرنسي وكذلك المدارس القرآنية التي ازداد عددها نسبيا في الثلث الأول من هذا القرن ظلت ضعيفة على العلوم، ولا تفي باحتياجات العدد المتزايد من الأطفال[1]، فإنها – إضافة إلى المعاهد العليا في البلاد مثل الزيتونة والصادقية والخلدونية – قد قامت بدورها الرائد في تكوين مجموعة كبيرة من الشباب عمل كثير منهم بجدية وإخلاص على إنقاذ تونس من الجهل والتخلف والفراغ السياسي، وناضلوا في جوانب مختلفة ليقودوا بلادهم إلى النهضة العلمية والثقافية والفكرية من جهة، وإلى الحرية من جهة ثانية.

*فقد دأبت هذه الأخيرة على تنظيم المحاضرات وإحياء التظاهرات الثقافية كما يلي:

– المحاضرات:

لقد سهرت الجمعية الخلدونية على تنظيم محاضرات عمومية من حين لآخر يلقيها عدد من العلماء والمدرسين والأطباء أمثال الأستاذ البشير صفر والشيخ الطاهر بن عاشور[2] وابنه الشيخ الفاضل بن عاشور والطاهر صفر[3] وغيرهم، ومنذ أن نشأت الخلدونية في أكتوبر 1934م، والنادي الأدبي برئاسة الشيخ العربي الكبادي أصبحت المحاضرات العمومية أسبوعية، ومن بين الضيوف العرب الذين ألقوا محاضرات على منبر الجمعية نذكر بالخصوص

[1] – دلت إحصائية 1906م على أن عدد المتعلمين التونسيين بالمدارس الحكومية هو 3289 فتى، 66 فتاة، أما الفرنسيون وأبناء الجاليات الأخرى فكان 21759. ومن بين مجموع 42306 تلميذا سنة 1923 كان عدد التونسيين 17817 فقط، من بينهم 1686 فتاة، أما في 1929م فكان العدد 50 ألفا في الابتدائي و5 ألاف في الثانوي، ينظر: أحمد خالد، المرجع السابق ص91.

[2] – محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط1، تونس، دار السلام للطباعة والنشر 2006 م، ص 89.

[3] – الطاهر صفر: هو أحد مؤسسي الحزب الدستوري الجديد ولد بالمهدية 1903م التحق سنة 1909م بالمدرسة الابتدائية بزاوية سيدي عيسى ثم انتقل إلى المدرسة العربية الفرنسية بالمهدية، وانتقل إلى باريس في 1925م لمواصلة تعليمه العالي وتوفي 9 أوت 1942م.

الشيخ محمد عبده[1] سبتمبر 1903 م والشيخ محمد الحجوي ديسمبر 1934 م وكان الإقبال على المحاضرات بتوزيع بطاقات حضور على رجال الفكر والأدب وطلبة التعليم العالي.

-التظاهرات الثقافية:

لقد اتجهت الخلدونية منذ مطلع الثلاثينات إلى اغتنام الفرص والمناسبات لإقامة تظاهرات ثقافية قصد التعريف بالحضارة العربية الإسلامية وأبرز أعلامها قديما وحديثا، كحفل التأبين الذي أقامته يوم 02 أفريل 1930 م الأديب المصري محمد الموصلي... كما أحيت يوم 04 مارس 1934 م ذكر المؤرخ القيرواني أبي العرب التميمي... كما أحيت يوم 28 أوت 1934م ذكرى انقضاء 20 عاما على وفاة أبرز مؤسسيها البشير صفر بحضور أحد تلامذته وهو الشيخ ابن باديس واحتضنت قاعة الخلدونية المؤتمر الأول لجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا من 20 إلى 22 أوت، انتخبت هيئة إدارية جديدة ترأسها الشيخ الفاضل ابن عاشور، وكان لها نشاط كثيف ومتنوع تمثل بالخصوص في الإنجازات التالية[2]:

- إنشاء معهد للدراسات الإسلامية في جانفي 1946م وهو معهد للتعليم العالي فكانت المحاضرات التي يبلغ عددها 50 محاضرة في كل دورة تتناول بالدروس المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالأقطار التابعة للوحدات الأربعة (عربية – الهندسة الطورانية والإيرانية).
- إنشاء معهد الحقوق العربي في أواخر سنة 1946 م وعهد بإدارته إلى الأستاذ "الطيب العنابي" المحامي، وقد درسه في سنة 1948 م بسبب تزاحم برنامجه مع برنامج الرسمي (مدرسة الحقوق التونسية)[3].

[1] – محمد عبده: ولد في 1849م بمحافظة البحيرة عالم دين وفقيه ومجدد إسلامي يعد من أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ساهم بعد التقاءه بالأستاذ جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية توفي يوم 11 جويلية 1905م.

[2] – خير الدين شتره، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونه، 1900–1956م، ج1،المرجع السابق، ص666.

[3] – شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، المصدر السابق، ص 77.

– إنشاء معهد الفلسفة في جانفي 1946 م بإدارة الأستاذ صالح بن محمود وتعطل نشاطه هو أيضا بعد مدة قليلة لإدماج برامج التعليم الذي نظمته الخلدونية منذ عهد قريب تلامذتها لاجتياز امتحان البكالوريا العربية[1].

– أحدث شهادة البكالوريا العربية ابتداء من سنة 1947 م ويتمثل غرضها في تهيئة المتحصلين عليها للالتحاق بمعاهد التعليم العالي في الأقطار العربية وإمداد الجامعة الزيتونية بأساتذة مختصين في العلوم الحديثة...

3-5 جمعية قدماء تلامذة الصادقية:

تأسست هذه الجمعية في سنة 1905م بفضل حماس محام شاب... هو علي باش حانبة[2]. وقد كان الهدف من هذه الجمعية كما يرى بعض الباحثين أن تكون روحها الثقافية غربية وغايتها وطنية، تعمل على بث فكرة التطور في الوسط الشعبي وتدخل إصلاحا جوهريا على الفكر والمجتمع والمؤسسات العامة[3]. وكان من بين أهدافها الهامة نشر وتبسيط العلوم العصرية في أوساط الشباب التونسي، وتمثل نشاطها بالخصوص في تنظيم محاضرات أسبوعية متبوعة بمناقشات بلغ عددها سبعا وعشرين في سنة واحدة من أفريل (نيسان) 1906م إلى أفريل 1907م وكانت فرصة لبروز مواهب ثقافية كثيرة. وكان من بين أكثر المهتمين والمواظبين على المحاضرات الفرنسي شارل جينيو الذي كان آنذاك يتمتع بشهرة واسعة في فن القصة والمقالة الأدبية.

واتجه جماعة قدماء الصادقية نحو الشعب فنظموا محاضرات في اللغة العربية في مختلف أحياء العاصمة على غرار الجماعات الشعبية التي كان ديهارم بعثها في باريس... والتي يعتقد أن الطلبة التونسيين كانوا على علم بها[4]. غير أن هناك من يرى رأيا آخر في هذه

[1] – خير الدين شتره، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونه 1900–1956م ، المرجع السابق، ص668.

[2] – شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، المصدر السابق ص78.

[3] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية بتونس، المصدر السابق، ص104.

[4] – حمادي الساحلي، جمعية قدماء الصادقية، المجلة الصادقية، عدد2، ص 24.

الجمعية ويرد منبع ظهورها إلى الخلاف الذي وقع وبدأ يتطور منذ المؤتمر الاستعماري في مرسيليا الذي رفض حضوره البشير صفر الوطني المتحمس للعروبة بينما حضره محمد الأصرم الذي اهتم في خطابه بكل ما يقرب بين التونسيين والفرنسيين وبهذا تحددت صورة الخلاف بين الوجهتين فتم الانفصال بينهما، فما كان من المثقفين ثقافة فرنسية إلا أن دعوا إلى تكوين جمعية خريجي الصادقية القدامى[1]، مما أدى إلى اهتمام هذا النادي بالتطرف ضد الثقافة العربية والميل إلى الثقافة الفرنسية وخدمتها.

واستدعى مؤسسو الجمعية جماعة من الأساتذة الفرنسيين، أو المثقفين بالفرنسية لإلقاء محاضراتهم، وعندما رأى الزيتونيون والخلدونيون الاهتمام منصبا على الثقافة الغربية بدؤوا ينزوون عنها، وتلافى رئيسها خير الله بن مصطفى المشكل، وكان صاحب ثقافة وفكر واسعين، فأقنع زملاءه بضرورة دعوة الشيوخ المثقفين بالعربية لإلقاء محاضراتهم التي كانت تعرف باسم المسامرات وكان أن ألقى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الصادقية أول محاضرة بالعربية في ماي (أيار) 1906م ثم تبعه آخرون[2].

وقد كان أثر هذه المحاضرات أن فتحت بابا جديدا للإنتاج الأدبي ورفعت شأن البيان والفكر العربيين[3]. كما أثرت في الصادقيين الحركة الوطنية التي جعلتهم يصححون موقفهم ويخرجون من الخطأ الذي وقعوا فيه فوجدوا أنفسهم – طبعا – في موقف عدائي مع العناصر الفرنسية التي كانوا يتعاونون معها.

ولم يعد دور قدماء الصادقية مقتصرا على الجانب الثقافي بل تعداه إلى الجانب السياسي ففي سنة 1906م انبثق من قدماء الصادقية، بعد مرور سنة على تأسيس جمعيتهم، ((النادي

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص38.

[2] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصدر السابق، ص105–106.

[3] –أحمد عبد السلام، جمعية قدماء تلامذة الصادقية، العدد2، تونس 1996م، ص 28.

الأدبي)) وهو نواة حزب سياسي سمي (الحزب الإصلاحي) ومثل بدء من السنة 1907م حركة الشباب التونسي التي فرضت نفسها ثقافيا قبل أن تثبت وجودها سياسيا[1].

وفي نادي الصادقية هذا ألقى الشاعر المعروف أبو القاسم الشابي محاضرته (الخيال الشعري عند العرب) كما كان يلتقي باستمرار في ذلك المنتدى الزيتونيون والمدرسيون يتبادلون الآراء في شتى المواضيع، فكانت الثقافتان الشرقية والغربية تتلاقحان، فيتأثر الزيتونيون بأحاديث الشباب المدرسي المتفتح الآفاق، المتحرر في تفكيره، المتشبع بالثقافة الفرنسية[2].

وهكذا صار هذا النادي ملتقى لتبادل الآراء ومناقشة الأفكار في مختلف القضايا الفكرية والأدبية والسياسية. وقد زاد عدد المحاضرات التي نظمها النادي الأدبي لقدماء الصادقية حتى صيف 1930م عن مائتي محاضرة.

3-6 مدرسة البنات المسلمات:

فتح أول مكتب للبنات المسلمات في 7 ماي 1900 م لتعليم البنات قرب حي الحفصية وهو أول مكتب يؤسس بتونس ويرجع الفضل في تأسيسه كما أوردت جريدة الحاضرة[3]، لقرينة المقيم العام الفرنسي "ميلي millet" وأسندت إدارته لامرأة فرنسية أرملة كاهلة كاتب الدولة العام، وقد أعد المكتب خصيصا لتعليم الفتاة المسلمة أمور تدبير المنزل وتعليم المرأة في بيتها فن الطرز والخياطة والبيانو لمن أراد ذلك وتعلم القرآن والعقائد الإسلامية، وقد أصبحت المدرسة تعد بعد تسع سنوات 200 تلميذة[4]، وكانت جمعية الأوقاف وهي التي تنفق على المدرسة عازمة على تكبير مدرسة البنات بنهج المنستير أو تكوين فرع لها، وتأسست بعد ذلك مدارس

[1] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، المرجع السابق، ص18-19.

[2] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م، المرجع السابق، ص336.

[3] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900-1956م، المرجع السابق، ص 683.

[4] – بن بلغيث الشيباني، فصول في تاريخ الأوقاف في تونس، مكتبة علاء الدين، 2004م، ص 188.

للفتيات المسلمات في أماكن مختلفة من الحاضرة بإيجار جمعية الأوقاف يبلغ سنويا 2100 فرنك[1].

3-7 المدرسة العربية العصرية:

أنشأها خير الله بن مصطفى كنواة لمدرسة عربية بالحضارة فتحت أبوابها في غزة ديسمبر 1906 م في محل مكون من طبقين في نهج بن عروس أحدهما للإدارة والمكتبة وشؤون أكل التلامذة، والآخر خصص كقاعات للتعليم وسكن بعض المعلمين... وتوفرت فيها الصحة ووسائل الإيضاح ومكتبة صغيرة، واشتملت على وسائل الراحة واللعب ويتناول التلامذة وجبات الطعام في الصباح والظهر، ويدفع كل منهم ثلاث فرنكات شهريا وفي نهاية الشهر الأول سجل بها 200 تلميذ، وتتكون الإدارة وأسرة التدريس من مجلس مكون من 12 عضوا من أولياء التلامذة وينتخبون لعامين والدروس بالعربية معتمدة على كتب مصرية وسورية، غير أن المدرسة أغلقت ولا نعرف سبب ذلك بالضبط لكننا نعتقد أن السلطة الحامية لا تطمئن لمثل هذا الاتجاه في التعليم[2].

3-8 المدرسة العرفانية:

اضطلعت هذه المدرسة لمدة نصف قرن بدور عظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية بمدينة تونس (باب السويقة) فقد تداول على تدريس اللغة العربية وآدابها خلال تاريخ تلك المدرسة عدد وافر من رجال الفكر والأدب أمثال: المشائخ محمد مناشو، العربي الماجري، محمد بن جعفر، محمد الكلبوسي، والأدباء: الحبيب جاوحدة، محمد الهادي العامري، أحمد خير الدين، كما ساهمت المدرسة العرفانية مساهمة فعالة في غرس الروح الوطنية في نفوس تلامذتها[3]، فقد شارك في نشاطها التربوي الطاهر صفر الذي أشرف على إدارة المدرسة 1922 - 1924 م والحبيب بورقيبة الذي انتخب عضوا في مجلس إدارتها سنة 1930 م والمرحوم المناضل

[1] – عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص66-67.

[2] – خير الدين شتره، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، المرجع السابق، ص684.

[3] – بن بلغيث الشيباني، فصول في تاريخ الأوقاف في تونس، مكتبة علاء الدين، 2004 م، ص 188.

صلاح الدين بوشوشة الذي تولى بها تدريس اللغة الفرنسية في أوائل الثلاثينات، والمدرسة العرفانية أسستها الجمعية الخيرية الإسلامية التونسية سنة 1909 م لتعليم مكفوليها من اليتامى وأبناء الفقراء والمساكين وهي تشتمل على قسم لحفظ القرآن الكريم وسبعة أقسام للتعليم الابتدائي المركز أساسا على التربية العربية الإسلامية وفي أواخر سنة 1917 م انتقلت المدرسة على مقرها الجديد الكائن بحي باب السويقة نهج الورغي عدد 04، في الدار التي حبسها على الجمعية الخيرية الإسلامية المحسن الحاج علي بن خليفة[1].

وتنتشر المدارس في غالب المدن التونسية بعضها يتبع الزوايا وبعضها ينفصل عنها، إلا أنها تعود كلها إلى إشراف جمعية الأوقاف المادي والمعنوي وازداد عدد هذه المدارس في زمن الاحتلال، ومن أهم هذه المدارس الموجودة قبل الاحتلال ما يلي:

3-9 مدرسة قصيبة المديوني:

كانت وقفا خاصا أسسها محمد بن سعيد، ولها أملاك ذات أهمية وفي سنة 1911م انقطع عقب المحبس وصدور الحكم الشرعي بثبوت وتصرفت الجمعية في أوقافه، هذا ناهيك عن مدارس الوقف الخاص المنتشر في كافة المدن التونسية، فالوردانيين بها مدارس تسمى زاوية الحطاب لحفظ القرآن الكريم، وسوسة بها مدرستان الأولى بقصر الرباط والثانية تدعى الزقاقية يسكن بهما الطلبة، والقيروان بها أربع مدارس وقف عام[2]، و الكاف بها أربع مدارس وقف عام إحداهما في تالة، والجريد بها اثني عشرة مدرسة وقف عام موزعة بتوزر ونفطة ودقاش، وجربة بها مدرستان الأولى مدرسة الشيخ إبراهيم الجمني بها 30 طالبا مستكمل شروط التعليم، ومدرسة الأمير الآي العروسي بوصرة بها 52 طالبا[3].

[1]- حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الاسلامي، 1992 م، ص 351-352.

[2] - الطيب بن عيسى، المعاهد الإسلامية، الجامعة الزيتونية، مج 6 ،ج2، جويلية أوت 1945م، ص 67-60.

[3] - بن بلغيث الشيباني، فصول في تاريخ الأوقاف في تونس، المرجع السابق، ص 108- 109.

04- دور رجال الفكر والثقافة بتونس:

4-1 عبد العزيز الثعالبي:

اختلفت الروايات التاريخية في تحديد تاريخ ميلاد شخصية عبد العزيز الثعالبي، فمنها من يقول أن تاريخ ميلاده كان سنة 1874 م ومنها من يذكر أنه ولد سنة 1875م، وأيضا من قال أن ميلاده سنة 1879[1] ورغم كل الاختلافات الموجودة في تحديد تاريخ ميلاده إلا أن التاريخ الأقرب للصواب هو تاريخ 1876 م وذلك لأنه يتوافق مع1293 هـ خاصة وأن التقويم الهجري كان هو المعمول به في تلك الفترة.

*هو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمان الثعالبي الذي شارك في قتال الفرنسيين عند غزوهم للجزائر سنة 1830 م / 1246 هـ، حيث كان زعماء حركة المقاومة ضد المستعمر وعندما أحكم العدو قضيته على بلاد قام الماريشال " بيجو[2] بتعيينه كبيرا لقضاء الشرع في الجزائر فأبى ولكنه لم يجد بدا من القبول، فشغل المنصب لمدة سنتين ثم سافر إلى تونس تاركا في بجاية بيته وعقاره وأمتعته وفضل الإقامة في العزلة على ولاء القضاء للفرنسيين المحتلين[3].

*ونشأ الثعالبي في كنف جده عبد الرحمان الثعالبي الذي تولى رعايته وتربيته تربية إسلامية أصيلة حيث أنه وبعد أن حفظ نصيبا من القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية

---

[1] – أما عن سنة 1875م فقد ذكره محمد المرزوقي الجيلالي الحاج يحي، معركة الزلاج، مكتبة المنار، تونس، ط1، 1961، ص 176.(وأما عن سنة 1879م فقد ذكره محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط2، 1994، ص213).

[2] – بيجو توماس روبير (1784– 1849م) ماريشال فرنسي، أرسل إلى الجزائر في مهمة مزدوجة: محاربة الأمير عبد القادر، وفرض السلم معه، خاص معركة "السكاك" في 1836/07/06م، وقع معاهدة "التافنة" مع الأمير عبد القادر في 20 ماي 1837م، غادر الجزائر ثم عاد إليها في 1848/02/22م بصفة حاكم عام محاطا بـ 100 ألف جندي وعدد من الجينيرالات، ينظر عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830–1962م)، وزارة المجاهدين، 2008، ص 490.

[3] – أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص 09.

والفرنسية بالمدرسة الابتدائية في حي " باب سوقة " التحق بـ " جامع الزيتونة "[1] لمواصلة دراسته الثانوية.

تعلم النحو والصرف والبلاغة والمنطق وعلم الكلام والحديث والتفسير والرياضيات وعلم الفلك[2].

وقد ذكر بعضا من مشاهير شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم عند التحاقه بجامع الزيتونة وقال بأن أغلبهم قد توفي، كفيلسوف الإسلام الشيخ "مصطفى بن خليل" وعالم الرياضيات الشيخ "السماتي" والشيخ "الصادق الشاهد" والشيخ "محمد خوجة" والشيخ "إسماعيل الصفا يحي" والشيخ "محمد النجار" وأخيرا العلامة الشيخ "حسين بن حسين" أما الشيخ "الصادق صفر" والشيخ "سالم بوحاجب" والشيخ "الطاهر الرياحي" والشيخ "إبراهيم المرغي" فقد ذكرهم بالقول : "... مازالوا على قيد الحياة، أمد الله أنفاسهم"[3].

*لقد تحصل على شهادة التطويع[4] التي كانت تتوج بها سنوات الدراسة بجامع الزيتونة فذهب بعضهم إلى القول بحصوله على هذه الشهادة سنة 1896 م، وقال آخرون أنه لم يستكمل معارفه لأن التعليم به كان غير موافق لما يتطلبه المجتمع التونسي من حيوية وتطور مع روح العصر، ورأى فريق ثالث أنه زاول فيه العلوم العربية والفقهية والنقلية والعقلية، وكان ينتقد كتب التدريس ودروس مشايخه، ويكثر من سؤالهم والاعتراض عليهم، مما نفر البعض

[1] – جامع الزيتونة: جعله "حسان بن نعمان" مسجدا جامعا بعد فتح تونس، وكان في الأول ديرا للرهبان تخلو عنه ثم وسع في بنائه "عبد الله بن الحبحاب" وظم إليه زيادة الله بن الأغلب زيادات كثيرة حتى تكاملت ضخامته في أيام ملوك بني حفص، وما لا جدال فيه أن هذا الجامع وجامع القيروان هما من جملة الآثار الأموية الشاهدة على عظم شأنهم، ينظر: عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، يروت، ط 2، 1990 م، ص 70.

[2] – حمادي الساحلي، المنصف الشنوفي، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، ص 812.

[3] – عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، ص 24.

[4] – التطويع: الشهادة التي يتوج بها الطالب بعد تخرجه من جامع الزيتونة إلى غاية سنة 1933م حيث تم تغيير الشهادة إلى ما يعرف بشهادة " التحصيل ".

منه ومن مشاغبته[1]، وهذا النقد والاعتراض لم يكن من باب العبث والشغب بل كان يهدف إلى إحداث تغيير نحو الأحسن في مناهج التعليم الزيتوني واعتماد الطرق العصرية للنهوض بالأمة فكريا وماديا، كما أن الثعالبي لم يرى أنه بحاجة إلى تلك الشهادة التي لابد منها لمن كان راغب في الانتماء إلى وظيفة عمومية، حيث أنه لا رغبة له في ذلك[2].

*ومما أرى له الأثر العظيم في تكوين شخصية "عبد العزيز الثعالبي" هو حديثه مع أمه عند انتصاب الحماية على تونس سنة 1882 م[3] ودخول القوات الفرنسية إليها حيث يقول: " كنت صغيرا ورأيت أمي تبكي فسألتها السبب فقالت: أما رأيت الإفرنج مروا من هنا وهؤلاء لايخرجون إلا بالحرب[4]. ولاشك أنه شاهد دخول هذه القوات ولاحظ حزن التونسيين على ذلك فكان حديثه مع جده يعكس عمق المأساة وعظيم البلاء الذي حل البلاد. فيقول في هذا الصدد: " كنت في طريق قريب من بيتنا وأنا صغير حينما دخل الجيش الفرنسي، فرأيت الكآبة تجثهم على وجوه التونسيين فاستغربت ذلك وكنت أجهل السبب وذهبت إلى جدي فوجدته يبكي لأول مرة فقلت مندهشا ولم البكاء ياجدي؟ هل ضربك أحد؟ فقال نعم، إن البلاء انصب علينا فيجب أن نرحل من هذه البلاد التي نعيش فيها، ولكنني قد بلغت من الكبر عتيا ولا أستطيع الرحيل وأنني خائف وجل من أن تصيروا في المستقبل فرنسيين فأراني محل الرصاص في صدره فقلت: سأضرب من ضربك هذا الإلهام الذي أودع في نفسي ما انقطع بل استمر حتى نشأت

[1] – مسعودة مسعود بو الخضرة، عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، ط1،المكتبة العصرية، لبنان، 1995 م، ص 34.

[2] – محمد المرزوقي، الجيلالي الحاج يحي، معركة الزلاج، مكتبة المنار، تونس، 1961، ط1، ص 176.

[3] – وكان ذلك نتيجة افتعال مشاكل حدودية بين تونس والجزائر بإيعاز من الضباط الفرنسيين في الجزائر لأجل التدخل المباشر في تونس وقد أرغم "روستان" القنصل الفرنسي في تونس باي تونس آنذاك " محمد الصادق " على قبول الحماية الفرنسية على تونس، ينظر: عبد الرحمان التشايجي، المسألة التونسية والسياسية العثمانية (1881/1913م)، ترجمة عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1973م، ص 83.

[4] – عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص05.

وكبرت فوجدت أصدقائي وأقراني يشعرون شعوري فاتفقنا على المقاومة وسبيل المقاومة الذي رأيناه هو تأسيس ثقافة إسلامية عربية[1].

*لدراسة شخصية " عبد العزيز الثعالبي " لابد من دراسة وتتبع آثاره ورحلاته الطويلة التي جاب خلالها البلدان متنقلا بين المشرق والمغرب حيث تعرف على كثير من المعالم والأعلام قصد التعرف أكثر على أوضاع البلاد الإسلامية والوقوف على أسباب الضعف فيها.

ومما لاشك فيه أن رحلاته مثلت محطات أساسية في مسيرته الحافلة بالنضال والنشاط الفكري والروحي والسياسي بأبعاده الوطنية والقومية والعربية والإسلامية الجامعة، كما تبينها كتبه ومقالاته ورسائله[2].

*لقد تم لعبد العزيز الثعالبي من منطلق الحزب الدستوري التونسي القديم إضافة إلى عديد البحوث وعديد المقالات الثقافية والإصلاحية والتوجيهية التي نشرت في الجرائد والمجلات ألف عدد هام من المؤلفات والكتب صدر جزء منها في حياته والجزء الأكبر بعد وفاته وقد تبين من خلالها منطلقاته الفكرية وتوجهاته السياسية والتي اتسمت في مجملها بقراءة حال الأمتين العربية والإسلامية ماضيا حاضرا قراءة آخذ العبر برؤية تجديدية تطورية للمستقبل انطلاقا من المعطيات الموضوعية ومن إيمان الشيخ "عبد العزيز الثعالبي" بالقدرات الفكرية والمادية للأمتين العربية والإسلامية والنضال في سبيل تحرير الأمة التونسية من الاستعمار الفرنسي. ومن أشهر كتبه النضالية[3]:

*كتاب تونس الشهيدة: بعد اطلاع الشيخ عبد العزيز الثعالبي على التقارير التي كانت تصله من أصحابه في تونس أثناء وجوده بمؤتمر الصلح بفرنسا للتعريف بالقضية التونسية رفقة زميله " أحمد السقا " ودراسته لها، قام بتأليف كتاب (تونس الشهيدة) الذي هدف من خلاله

[1] – أنور الجنيدي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، المرجع السابق، ص13 .

[2] – أحمد خالد، الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، 2001 م، ص 76.

3 – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900 – 1956م، ج2، طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر2008 م ، ص921.

تعريف الجمهور الفرنسي على الأوضاع المزرية التي يعيشها التونسيون في ظل الحماية الفرنسية، حيث قام أحمد السقا بترجمة هذا الكتاب من العربية إلى الفرنسية رغم إنكاره لأية مساهمة له في تأليف الكتاب عند استنطاقه من طرف قاضي التحقيق الذي أصر على تحميله مسؤولية ذلك، كون الثعالبي لا يتقن اللغة الفرنسية واعتمادا على بعض الأدلة التي عثر عليها، وكذلك لكون العمل يتطلب تظافر جهود كبيرة لإتمامه[1]. طبع هذا الكتاب بمطبعة " جوف وشركائه " وتم نشره وتوزيعه في فرنسا وخارجها بمجرد صدوره يوم 29 ديسمبر 1919 م تحت عنوان " تونس الشهيدة " وتم إرسال نسخ منه إلى أعضاء البرلمان وإلى الأحزاب والهيئات الحكومية في فرنسا وإلى أهم مديري الصحف والجرائد وأبرز المؤسسات الإعلامية كما تم إرساله إلى كبار رجال الفكر والأدب في العديد من الدول الأوروبية وأمريكا والهند ومصر وتركيا كما انتشر في تونس والجزائر رغم تداوله سرا حتى أن الحبيب بورقيبة كتب أنه كان يخفي الكتاب تحت غطائه وتأثر به كثيرا لدرجة البكاء[2].

*وقد نفذت نسخ الكتاب بسرعة بعد أن ازداد الطلب عليه. وقد ألفه الثعالبي من خلال مجموعة من الاستنتاجات المبنية على المقارنة بين الأوضاع التونسية قبل وبعد فرض الحماية على تونس.

*هذا واحتوى كتاب تونس الشهيدة على أربعة عشر فصلا وخاتمة، متضمنا المطالب التونسية وعرضا واقعيا لأوضاع تونس معتمدا على الأرقام في فضح الادعاء بأن رسالة الحماية الفرنسية حضارية، كما يمكن القول أن المؤلف كان تمهيدا لبزوغ الحركة الوطنية وإعلان قيام العمل السياسي المنظم، وداعما معنويا للشعوب التي سبقت تونس في النضال السياسي خاصة الشعوب العربية.

[1] – الخرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995 م، ص72.

[2] – عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص18.

4-2 محمد البشير صفر:

أصله من مدينة المهدية من عائلة تركية، ووالده هو أمير اللواء مصطفى صفر أحد ضباط الجند النظامي الذي كونه أحمد باي في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولد سنة 1280 هـ / 1865م ونشأ في منزل والده بحومة طرنجه من الربض الشمالي للعاصمة. تعلم في المكتب القرآني ثم في المدرسة الصادقية التي كان من أول أفواجها ومثالا للنجابة وحسن السيرة. وكان من النخبة الأولى التي اختيرت للدراسة في فرنسا 1298 هـ ودخل مدرسة سان لوي بباريس ثم عاد إلى تونس في بداية عهد الحماية ولم يسمح له بالرجوع إلى فرنسا[1].

*عمل مترجما بالكتابة العامة 1882م وأشرف على قسم الحسابات بالوزارة الكبرى من 1882 – 1891م كما أصبح مسؤولا عن أموال الأوقاف وحساباتها، ساهم في إنشاء جريدة الحاضرة سنة 1888م التي كانت ميدانا فسيحا لكتاباته العلمية والسياسية وساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1314هـ / 1896م ودرس فيها التاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية سمي مديرا ومعلما بالفرع الابتدائي للصادقية 1888م، وسمي رئيسا للأوقاف في 31 جويلية 1900م إلى شهر جوان 1908م فأجرى الكثير من الإصلاحات فيها. وفي هذه الإدارة وقف حجر عثرة أمام المعمرين الذين تهافتوا على أراضي الأوقاف، وعارض كل تدخل في إدارة الأحباس وممتلكاته بفكره وقلمه ولذلك أصبح هدفا لسهام الصحف الفرنسية فعين عاملا على سوسة 1908م إلى وفاته 1917م[2].

4-3 الحبيب بورقيبة:

ولد الحبيب بورقيبة يوم 03 أوت 1903 م بمدينة المنستير الساحلية، كما ذكر في محاضراته. تزامنت طفولته مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ونشأ الحبيب بورقيبة في مرحلة ظهور حركة الشباب التونسي بزعامة علي باشا حامبة، وبداية النخبة السياسية التونسية في المطالبة بتطبيق " سياسة المشاركة "، وترعرع في وضعية اجتماعية صعبة.

[1] – الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون ، تق تع حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986، ص 121.

[2] – بن بلغيث الشيباني: أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر، مكتبة علاء الدين، تونس2008 م، ص152-153.

كما أن والده لم يكن قادرا على الإنفاق لتعليمه، فأرسله إلى تونس العاصمة ليتكفل أخاه بدراسته، ولكن شغفه بالعلم وتحسين وضعيته الاجتماعية والمادية كل هذا كان دافعا قويا له للعودة ثانية لمواصلة مشواره الدراسي، ونجاحه في الدراسة فتح له أبواب جامعة " السوربون " بباريس لمواصلة الدراسات العليا في الحقوق والعلوم السياسية. نهل كثيرا من أدباء وفلاسفة فرنسا، وتأثر بهم إلى حد كبير، كما أبهرته الحياة السياسية في فرنسا وحرية التعبير[1].

*انضم إلى الحزب الحر الدستوري سنة 1933م، واستقال منه في نفس السنة ليؤسس في 02 مارس 1934م بقصر هلال الحزب الحر الدستوري الجديد برفقة محمود الماطري والطاهر صفر والبحري قيقة... اعتقل في 03 سبتمبر 1934م لنشاطه النضالي وأبعد إلى أقصى الجنوب التونسي، ولم يفرج عنه إلا في ماي 1936م.

ثم سافر إلى فرنسا، وبعد سُقوط حكومة الجبهة الشعبية فيها اعتقل في 10 أفريل من العام 1938م إثر تظاهرة شعبية قمعتها الشرطة الفرنسية بوحشية في 09 أفريل 1938م، ونقل بورقيبة إلى مرسيليا وبقي فيها حتى 10 ديسمبر 1942م، عندما نقل إلى سجن في ليون ثم إلى حصن "سان نيكولا"، حيث اكتشفته القوات الألمانية التي غزت فرنسا، فنقلته إلى نيس ثم إلى روما، ومن هناك أعيد إلى تونس حراً طليقاً في 07 أبريل 1943م .

قرر السفر إلى المنفى الاختياري بالقاهرة في 23 مارس 1945م، وزار من هناك الولايات المتحدة قبل أن يعود إلى تونس في 08 سبتمبر 1949م، وسافر من جديد إلى فرنسا سنة 1950م ليُقدم مشروع إصلاحات للحكومة الفرنسية قبل أن يتنقل بين القاهرة والهند وأندونيسيا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة والمغرب قبل أن يرجع إلى تونس في 02 جانفي 1952م معلنا انعدام ثقة التونسيين بفرنسا، ولما اندلعت الثورة المسلحة التونسية في 18 جانفي 1952م، اعتقل الزعيم الحبيب بورقيبة وزملاؤه في الحزب، وتنقل بين السجون في تونس وفرنسا، ثم شرعت فرنسا في التفاوض معه فعاد إلى تونس في 01 جوان 1955م، ليستقبله

1 – عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة(1899–2000م)، أطروحة دكتوراء في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 م ، ص94.

الشعب استقبال الأبطال ويتمكن من تحريك الجماهير، لتوقع فرنسا في 03 جوان 1955م المعاهدة التي تمنح تونس استقلالها الداخلي. وهي الاتفاقية التي عارضها الزعيم صالح بن يوسف واصفا إياها أنها خطوة إلى الوراء، مما أدى إلى نشأة ما يعرف بالصراع "البورقيبي اليوسفي" ويتهمه خصومه السياسيون بالتهاون والتخاذل. وفي 20 مارس 1956م تم توقيع وثيقة الاستقلال على يد بورقيبة[1].

4-4 المنصف باي:

هو محمد المنصف باشا باي بن محمد الناصر باي، من آخر البايات الحسينيين في تونس. ولد في 4 مارس 1881م، تمت تسميته وليا للعهد يوم 30 أفريل 1942م، واستمر في الحكم أحد عشر شهرا حيث تمت تنحيته في ماي 1943م وتوفي في سبتمبر 1948م بمنفاه في فرنسا .

*تميز المنصف باي بالتعاطف مع الحركة الدستورية لما تولى العرش الحسيني 19 جوان 1942م، وفترة انتعاش الحركة الوطنية التي شهدتها الأيالة طوال فترة حكمه تونس ما بين نوفمبر 1942م و13 ماي 1943م التي مكنت الحزب الحر الدستوري الجديد من تجديد تشكيلاته والرجوع إلى سالف نشاطة.

وبالتوازي مع رفض الوطنيين التونسيين لمشروع الاتحاد الفرنسي الذي تبلور إثر انعقاد ندوة برازفيل جانفي 1944م، تكونت لجنة وطنية يوم 30 أكتوبر ضمت 60 عضوا، وعرفت بلجنة الستين، والتي تشكلت إثرها جبهة وطنية ضمت كلا من الحزبين الدستوريين والحركة المنصفية ومدرسي جامع الزيتونة وممثلي الأقلية اليهودية وعقدت اجتماعين، الأول يوم 30 أكتوبر 1944م أعد تقريرا طالب فيه بمنح البلاد التونسية استقلالها الداخلي، وساهمت الحركة المنصفية في العديد من مظاهر تفعيل النضال الثقافي، كهجرة الزعيم الحبيب بورقيبة إلى القاهرة مارس 1945م للتعريف بالقضية التونسية ومحاولة إدراجها ضمن جدول أعمال جامعة

1 – الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على العصر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999 م، ص 12.

الدول العربية، وقد سعى الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد بإشراف كاتبه العام صالح بن يوسف إلى تكوين جبهة وطنية مضادة للاستعمار جمعت المنظمات المهنية لا سيما الاتحاد العام التونسي للشغل جانفي 1946م والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة أفريل 1948م والاتحاد العام للفلاحة التونسية ماي 1950م...[1]

4-5 المرأة التونسية: بشيرة بن مراد أنموذجا.

بشيرة بن مراد ولدت بالعاصمة التونسية في عائلة عريقة في العلم والدين سنة 1913م، إذ كان جدها الشيخ أحمد بن مراد مفتيا حنفيا، وكان والدها الشيخ محمد الصالح بن مراد شيخ الإسلام الحنفي.

تلقت بشيرة بن مراد تعليمها على أيدي عدد من مشائخ جامع الزيتونة، ومن بينهم جدها، وقد حفظت جانبا من القرآن الكريم وتعلمت العربية، كما حفظت كثيرا من الشعر العربي. وهو ما مكنها من الكتابة الصحفية والخطابة. وهي رائدة الحركة النسائية في تونس.. وتوفيت يوم 04 ماي 1993م.

*برزت بشيرة بن مراد إلى جانب أختها نجيبة وعدد من نساء الأرستقراطية التونسية في الأعمال الخيرية. ثم كانت في ديسمبر 1936م من بين عدد من النساء اللاتي أسسن أول جمعية نسائية تونسية، وهي الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي، ثم تقدمن سنة 1938م بمطلب للاعتراف بها وبقيت الجمعية تنشط رغم أنها لم تحصل على التأشيرة إلا سنة 1951م.

لقد اقترن اسم بشيرة بن مراد بالاتحاد النسائي الإسلامي التونسي، والملفت أنها وجدت تشجيعا من والدها الذي كان منذ بضع سنوات فقط من أبرز معارضي الطاهر الحداد رائد تحرير المرأة في تونس.

1 – مطبوعة أعمال الندوة الدولية الثالثة عشر حول: استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، تونس، 2006، ص 22-23.

*وقد ساهمت بشيرة بن مراد بالكتابة الصحفية في عدد من الدوريات من بينها مجلة المسرح 1937م ومجلة والدها "شمس الإسلام" 1938م، وقد تناولت مواضيع تهم المرأة أساسا. ومن بين أقوالها : "ليس في الحياة المنزلية ما ينقص مقام المرأة، ولا ما يحط من شرفها، ولا مما يصح أن يقال فيه: إنها مظلومة الجانب مهضومة الحق، لأن تقسيم الأعمال بين الجنسين ضروري... يجب على المرأة أن تضرب بسهم في الحياة، فلا بد من تربيتها تربية دينية صالحة، لتكون مستعدة لحمل الأمانة التي قضى الله عليها بحملها وحفظها". ولا شك أن هذا الخطاب يعكس نظرة محافظة تعكس ولا شك تأثر بشيرة بن مراد بمحيطها العائلي.

ومن بين ما دعت إليه بشيرة بن مراد التعليم، وفي هذا المعنى كتبت سنة 1938م ما يلي: "المرأة التونسية تطورت وسمت أفكارها وصارت تراقب سير الأمور وهي تستحسن وتستهجن وتمدح وتذم وتفهم حالة البلاد من كل نواحيها. تشارك في المجتمعات الخيرية والاجتماعية العلمية. وإني لمسرورة بكل ذلك. وقد أسمع أحيانا بعض ما يقلقني، مثل الإعراض عن الزواج ونحو ذلك.

وإني أدعو قومنا للعمل بجد في سبيل العلم والمعرفة وتأسيس المدارس ونشر التعليم وإزالة العقبات من وجه الفتاة التونسية وترك الأحاديث والتشمير عن ساعد الجد في سبيل العمل الوطني التونسي وتقديم الخدمة المفيدة له"[1].

[1] – مجلة الإلهام ، السيدة بشيرة بن مراد، زعيمة الحركة النسائية التونسية ،جانفي 1956، ص 19-21.

الفصل الثاني: دور الحركة الأدبية والفكرية في عملية التحرير الوطني.

01-الحركة الأدبية التونسية.

02-دور الجمعيات في الحركة التحررية.

01- الحركة الأدبية التونسية:

1-1 الشعر:

يكاد لا يخلو شعر شاعر في ذلك العهد من المعاني الوطنية سواء أولئك الذين أشار لهم زين العابدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[1]مثل الهادي المدني ومصطفى أغا وبالحسن بن شعبان وأحمد خير الدين، أو من لم يذكرهم مثل الشاذلي عطاء الله وبصورة عامة، فإن الشعر كان طاغيا في الثلاثينات على كل الأجناس الأدبية الأخرى.

وإبان غضب الشعب على الباي وحكومته وإظهار بعض أطراف البلاد التمرد والعصيان نتيجة السياسة الفاسدة، احتل الفرنسيون البلاد في 12 ماي 1882م، وأعلن الباي الاستسلام للاحتلال، وأذاع في الشعب منشورا يحرضه على طاعة الأسياد الجدد. فأخذ الشعب من ذلك المنشور دليلا على خيانة الباي، وشاع في جميع الأوساط أنه باع البلاد للأجانب الكفار، وذاعت في أحياء البادية الأغنية الشعبية (الشعر الشعبي) المشهورة التي كان يتغنى بها الصبيان: يكب أيام الصادق خان *** هرب خلى الكرسي لجوان[1]

وقد كان في مقدمة المقاومين للاحتلال، الشعراء الشعبيون بألسنتهم التي تركت لنا مع الرواة نصيبا من الشعر الحماسي الجهادي، وكثيرا من التفاصيل عن تلك الفترة[2]، وعن آراء زعماء الشعب في الاحتلال، فقد عاصر فترة الاحتلال شعراء فحول، فرسان عظام، قاوموا المستعمر ببنادقهم، وسلقوه بألسنتهم، في قصائد رائدة، وسوف نستعرض فيما يلي أشهر قصائد ذلك العهد في مقاومة الاحتلال، ونحاول أن نستشف منها الحالة العامة، ورأي الشعب في المحتلين[3].

---

[1] – مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج ، 1993 م، 46.

[2] – محمد المرزوقي، الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية، سلسلة أعلام تونس، الدار التونسية للنشر 1971، 13.

[3] – محمد المرزوقي، الأعمال الكاملة، القسم الأول معارك وأبطال، ط1، دار محمد علي للنشر، اليمامة، صفاقس، تونس، 2012 م، 63.

كان الشعب ينظر للمحتلين الفرنسيين في تلك الفترة نظرة دينية بحتة، ويعتبرهم كفارا أعداء للإسلام تجب مقاومتهم شرعا، ومن رضي بحكمهم فقد رضي الكفر، والراضي بحكم الكافر كافر، وقد أخل بفريضة الجهاد في سبيل الله، فإذا عجز عن الجهاد فقد وجب عليه أن يهاجر لبلاد الإسلام فرارا بدينه.

وهذا الرأي نجده مبثوثا في جميع القصائد الشعرية التي وصلتنا وحتى في رسائل رد بها بعض المهاجرين التونسيين على مخاطبات بعض ممثلي السلط التونسية، يحاولون بها رجوع المهاجرين إلى ديارهم.

وقد مهد هذا اللون السبيل للشعر السياسي والاجتماعي الذي سيكون من فرسانه محمد الشاذلي خزندار[1]. لقد جمع خزندار في شعره بين الوطنية والحس الديني ونزل بالشعر إلى الجماهير يلهب حماسها في شتى المناسبات، فيقول مثلا في الرد على سياسة التجنيس التي اتبعها الاستعمار الفرنسي:

ليس انبدل جنسـي كـــــــــلا وأتردد

إن كان يرضى الفرنسية فليس يرضى محمد[2]

ويستمر الشاذلي خزندار، بنفسه القوية في مواكبة الأحداث الوطنية والدفاع عن عروبة تونس وإسلامها، فيستحق بغزارة شعره وحرارة معانيه " أمير الشعراء "، إلا أن اللون الاجتماعي تطور مع الطاهر الحداد الذي استطاع، رغم شاعريته المحدودة، إلى إقحام المضامين الإصلاحية العمالية وأضاف بذلك للشعر الوطني بعدا جديدا لم يعرف قبله.

أتونس عندي في هواك تولـع أنت منى نفس عليك تقطع

ضلت تعانين الحيـاة مريـرة تزيد بك البلوى وقومك هجع

أضاعوك واستخذوا السلطة معشر لنزف دماء الواهنين تجمعوا[1]

[1] – الرزقي الصادق، الأغاني التونسية، تونس، الدار التونسية للنشر، 1967 م، 19.

[2] – مجموعة من الباحثين ، تاريخ الأدب التونسي، الحديث والمعاصر، المرجع السابق: 45.

كما عرف الشعر الوطني بلوغ ذروته مع أبي القاسم الشابي صاحب إرادة الحياة:

إذا الشعب يوما أراد الحيـاة فلا بد أن يستجيـب القدر

ولا بد لليـــــــل أن ينجلي ولابد للقيـد أن ينكســـــر

ونجد أيضا حسين الجزيري[2] الذي حمل راية الشعر الفكاهي وسخر ناقدا الوضع الاجتماعي والسياسي في ظل الاستعمار بقوله بعد أن زج به في السجن:

غناؤك يا طير يذكي فؤادي فؤادي الذي ذاق مر العذاب

شقيت لأني أحب بلادي وقلبي لشوقها في الاكتئاب

لقد كنت يا طير في كل وادي طليقا ترفرف بين الصحاب

فمدت لأسراك أشراك غدر لمن يطربون بنوح الأميـــــر[3]

وكان من أشهر الشعراء التحرريين بتونس:

***الفارس إبراهيم الساسي :**

الشاعر الفارس إبراهيم الساسي، من بني يزيد من سكان حامة قابس، شارك في مقاومة المحتلين بجبهة قابس، ثم هاجر إلى طرابلس صحبة إخوته منهم أخوه أبو القاسم، الذي توفي بطرابلس وابن هذا الأخير الشاعر الفحل حسن الساسي، حين قيل له إن الباي يأمر بالطاعة للفرنسيين فقال:

ننسب يهودي ولا نقول يزيدي عدو ديننا ما نقوله ياسيدي

---

[1] – محمد الشاذلي خزندار: (1881–1954م) شاعر تونسي ولد بالقرب من مدينة تونس، نشأ في تونس وولي فيها بعض الأعمال، أقبل فسلك طريق المعارضة السياسية، عد أول شاعر جديد في الشعر التونسي وجاء بالشعر الشعبي فكان ديوانه سجل للوقائع التي خاضها الشعب التونسي لنيل استقلاله.

[2] – حسين الجزيري: (1894–1974م) هو شاعر وصحفي تونسي ولد وتوفي في تونس العاصمة تلقى تعليمه المبكر في الكتاب انظم في سلك طلبة جامع الزيتونة، مارس الكتابة في الصحف، عمل مراسلا في صحيفة (الفاروق)، للمزيد ينظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونس.

[3]– حوليات الجامعة التونسية، العدد2، جامعة منوبة، تونس، 1965 م، 133.

ومما يروي عن إبراهيم الساسي هذا، أقسم أن لا يفتح عينيه في فرنسي كافر ما عاش، فلما أصيب في عينيه، وهو بطرابلس ذهب إليه أبناء أخواته وأرجعوه إلى الحامة، وعندما اقترب من بلده، سأل موافقيه: بخصو تواجد الفرنسيين في الحامة فقالوا: نعم. فأمرهم بنقله إلى هنشير السقي، وهنا قضى بقية أيامه حتى مات رحمه الله[1].

***أبو القاسم الشابي:**

ولد أبو القاسم محمد بن الشابي عام 1909م في بلدة توزر، الواقعة في الجنوب الغربي من تونس في فترة تاريخية لم تكن الأسوأ في التاريخ التونسي، إذ مر المغرب العربي بفترة سياسية مأساوية بعد سقوط الأندلس، ولم يكن المشرق العربي أفضل منه حالا[2]. ولم تكن حياته في مساكن طلاب جامع الزيتونة رغيدة، فقد عانت هذه المساكن من الفقر، والمرض، والجوع، والازدحام لأعداد كبيرة من الطلاب في غرفة واحدة وقيامهم بمعظم أمورهم الحياتية في هذه الغرفة.

وتجدر الإشارة إلى أن قريحة الشابي الشعرية بدأت تجود بالشعر في هذه الفترة من حياته. وكان الشابي في هذه الفترة شابا يافعا لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، فتأثر ببيئته الجديدة في العاصمة التونسية، وما وجد فيها من مغريات الحياة، فأثارته الفتيات الأوروبيات في العاصمة وغيرهن فيما حوله[3].

تخرج الشابي في جامع الزيتونة عام 1928م، والتحق بكلية الحقوق التونسية، لذلك بعد نصيحة قدمها له والده بالانتساب لكلية الحقوق التونسية، وبعد ما وجده ولاحظه من أن أفكار وميول أدبية لم تكن تتفق مع أفكار وميول أساتذته وشيوخه في جامع الزيتونة.

---

[1] – محمد المرزوقي ،الأعمال الكاملة ،المرجع السابق 65.

[2] – زين العابدين السنوسي ،ابو القاسم الشابي حياته وأدبه دار الكتب الشرقية ، تونس ،1956 م، 37-38.

[3] – أبو القاسم الشابي، أغاني ديوان شعر أبي القاسم الشابي، ط1، دار الكتب الشرقية 1955 م، 86.

وقد تعرض الشاعر في هذه المرحلة من حياته لصعوبات كان لها أثرها البالغ في نفسيته وفكره، ووجدانه[1]. وكان ما عاشته تونس فترة الاستعمار الفرنسي، من تخلف اجتماعي وثقافي، وضعف سياسي، وما عاناه التونسيون من ظلم وقهر واغتصاب حقوق أثر كبير على الشعب التونسي بعامة، والشاعر بخاصة، فهو جزء منهم عاش معهم مأساتهم الجماعية، فلم يكتف بوصفهم، بل كان عليه القيام والنهوض والثورة في وجه الظلم، ويمنيهم بالحرية ويحثهم على كسر قيوده وبعثهم لأنفسهم[2]، فتغنى الثوار في عصره بقصائده، وظلت تردد أشعاره على ألسنة الثوار التونسيين حتى يومنا هذا، فنقشت كلماته في ذاكرة كل عربي في المشرق أو الغرب يحلم بالثورة والنصر، وأشهر قصائده التي تغنت بها الشعوب في ثوراتها قصيدة (إرادة الحياة) وبيتاه القائل فيهما:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

ورغم شعور الشابي الوطني، إلا أنه مر بأوقات تشاؤمية سياسية، يائسا من أي تغيير، أو أي إمكانية للإصلاح، يقول في قصيدته النبي المجهول:

أيها الشعب! ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذوع بفأسي

1-2 النثر الأدبي:

لقد كان للحماية الفرنسية الأثر البالغ في الحياة الأدبية وانتشار النثر الأدبي الذي تجسد في الخطابة والمقال السياسي والصحف التونسية معبرا عن رفضه للحماية الفرنسية ومطالبا للإصلاح خاصة في فترة سنوات(1900-1939م)، ولكن الحرب العالمية الثانية كان لها أثرها في تجميد الحركة الأدبية لسنوات(1939 -1943م) وقد تولدت في الإذاعة -التي كانت قبل الحرب قطب الحركة الأدبية- مظاهر النشاط الأدبي من جديد[3] كما أن صدور مجلة الثريا في

[1] – زين العابدين سنوسي، أبو القاسم الشابي حياته وأدبه، المرجع السابق، 41.

[2] – عمر فروج، الشابي شاعر الحب والحياة، دار العلم للملايين، بيروت 1960م، 58.

[3] – مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، 27.

ديسمبر 1943م واستئناف كل من «المجلة الزيتونية» و«الباحث» لنشاطهما ساعد على خلق الحركية الثقافية في البلاد. واهتمت الصحافة على وجه الخصو بالمقال الأدبي والمقال السياسي مستجيبة بذلك لتيار الشعور الوطني الذي وجه في الإصلاح الزيتوني (1946م) وتكوين الاتحاد العام التونسي للشغل (جانفي 1946م) وإحداث شهادة البكالوريا العربية (1946 -1947م) بعض مظاهره الفكرية الثقافية وكان ذلك تمهيدا لإرسال البعثات العلمية إلى المشرق. وهذه العوامل مجتمعة ساعدت على تأكيد ربط البلاد التونسية بانتمائها العربي وكان لعودة الصحافة والإذاعة إلى نشاطها كبير الأثر في تنشيط الحركة الثقافية باعتبارهما أهم عاملي تبليغ لتلك الفترة[1].

فكان للنثر الأدبي مجالا فسيحا يمثل القوام المستجيب لمتطلبات المقال الصحفي السيار والحصص الإذاعية ووقع التخلي تدريجيا عن الصبغة التعليمية مع التركيز أكثر فأكثر على الوصف والتحليل أما في مجالي القصة القصيرة والرواية فإن الترجمة والاقتباس قد تناقصا مع الزمن نظرا لتجذر هذين الصنفين الأدبيين خلال سنوات ما بين الحربين في الإنتاج الإبداعي[2]

1-3 السينما والمسرح:

لقد كانت نشأة السينما والمسرح بتونس تعتمدان قبل كل شيء على الفن القصصي، ولذلك فإنه لا يستهان بدورهما في مجال التأثير على نشأة القصة في بداياتها الأولى ويكفي للدلالة على أثر السينما أن نشير إلى الفيلم الذي اقتبس منه إبراهيم بن شعبان سنة 1910م قصة سماها (فظائع المقامرة). وقد استقى الكاتب قصته أو (روايته) كما يسميها من فيلم شاهده فأثر به، فتمنى لو أن كل أبناء بلاده كانوا حاضرين للمشاهدة والاتعاظ به، وذلك بسبب انتشار القمار في وطنه والحفاظ عن مقوماته. حيث كان للمسرح أيضا دوره الهام في إثارة المواضيع الاجتماعية والتركيز على جوانب تستحق النقد والاهتمام بإصلاحها وقد ظهرت

[1] – مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، 28.

[2] – رضوان إبراهيم، التعريف بالأدب التونسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1977 م، 188:.

النهضة المسرحية في تونس بفضل زيارة بعض الفرق المسرحية من المشرق العربي[1]. وقد مثلت الفرقة الكوميدية المصرية مسرحية (العاشق المتهم) سنة1907م كما (مثلت رواية صلاح الدين الأيوبي من تأليف الشيخ نجيب الحداد)[2]. ومثلت فرق أخرى مسرحيات أخرى غيرها. فقد جاءت بعد فرقة الكوميديا المصرية فرق أخرى مثل: فرقة عبد القادر المصري[3] سنة 1908م، وكذلك الجوق المصري.

وفي العام نفسه أسس جماعة الشبان فرقة مسرحية محلية هي (النجمة التمثيلية) التي أصبحت سنة 1909م تسمى (الجوق) التونسي المصري، حين انضم إليها أعضاء فرقة الجوق المصري بعد أن توفي رئيسها سليمان القرداحي في تونس.

كما جاء إلى تونس إبراهيم حجازي سنة 1909م وفي نفس العام تأسست فرقة ثانية هي (الشهامة العربية). وفي عام 1911م قامت جمعية الآداب فقدمت بدورها مجموعة من المسرحيات. وفي 1914م قدم إلى تونس الشيخ سلامة حجازي، (فهام الناس بتمثيله روايات صلاح الدين، وشهداء الغرام، ومجنون ليلى، وهملت)[4].

وتوقف المسرح أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب اندمجت الآداب (والشهامة) لتكونا فرقة (التمثيل العربي) وانفصل عنها وأسسوا فرقة (المستقبل التمثيلي) كما ظهرت في الفترة نفسها (السعادة).

وفي 1922م قدم إلى تونس جورج أبيض[5] فقدم مع فرقته عروضا خالية من الغناء ويبدو أن المسرح حتى عام 1935م ظل معتمدا على المسرحيات المستوردة من مصر ولذلك أصاب

---

[1] – مجلة قصص عدد 4 جويلية 1967م، ص 74.

2 – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصدر السابق، ص 125–126.

[3] – مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص36.

4– محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، المصدر السابق ، ص126.

[5] – جورج أبيض: ولد في بيروت (1880–1959م) ممثل لبناني هاجر إلى مصر وعمره 18 عاما عمل بسكة الحديد الاسكندرية سنة 1904م. أرسل الى باريس لدراسة الفن وعاد الى مصر 1910م ومعه فرقة فرنسية تحمل اسمه وبدأ بعرض=

الجمهور الملل. وفي تلك السنة أسس جماعة (فرقة المسرح) لإنقاذه، فمثلت مسرحيات من تأليف ومن اقتباس تونسيين. وخوفا من العواقب المترتبة عن التنافس غير النزيه، بادر الجنرال مصطفى شيخ المدينة سنة 1936م إلى دمج الجمـــعيات الثلاث (المسرح العربي) والمستقبل المســرحي و(المسرح) وصارت تسمى (الاتحاد المسرحي)[1] وغيرهما والتي لعبت دورا في الحركة الوطنية ووحدة المجتمع التونسي وتوجيهه نحو عدم القبول لنظام الحماية والتوجيه نحو الواقع العربي.

1-4 القصة القصيرة والرواية:

يرجع الفضل لنشر القصة القصيرة للصحافة وبعض النماذج الروائية في الأدب التونسي الحديث حتى قبيل الاستقلال. وبتوقف مجلة « المباحث » عن الصدور سجلت حركة نشر القصة القصيرة تراجعا ملحوظا امتد حتى بداية الخمسينيات. ورغم أن جريدة « الأسبوع » (1945 – 1950م) قد حاولت أن تستقطب بعض الأسماء التي عرفت بإنتاجها في المجال خلال الفترة السابقة مثل علي الدوعاجي[2] وتوفيق بوغدير فإنها لم تتوصل خلال كامل فترة صدورها إلا إلى نشر (21) قصة قصيرة وبضعة فصول من زواية لزين العابدين السنوسي. وقد كان لهذه الجريدة الفضل في التعريف عن طريق النشر بأغلب ما أنتجه عياشي معروف في مجال القصة القصيرة[3].

وفي سنة 1936، كانت الأجناس الأدبية قد ظهرت بملامحها الخاصة لتواصل نموها بعوامل جديدة، داخلية وخارجية، حتى ظهور المجلة الثانية الكبرى « المباحث » التي ستمثل تحولا آخرا في الحياة الأدبية والفكرية بصورة عامة. كما كان رواد القصة بتونس يتخذون القصة

= مسرحيات باللغة الفرنسية كما كان من رواد السينما حيث قدم أول فيلم غنائي مصر وهو أنشودة الفؤاد عام 1932م انتخب ليكون أول رواد نصيب نقابة للممثلين في مصر.

[1] – أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، المرجع السابق، 124-125.

[2] – علي الدوعاجي: ولد سنة 1909م قصا ورسام وشاعر تونسي يعتبره النقاد أبا للقصة التونسية المعاصرة تعلم مبادئ اللغتين العربية والفرنسية، توفي عام 1949م

[3] – الحفناوي الماجري، القصة القصيرة بين مرقون وتلخيص منشور، مجلة الحياة الثقافية، عدد 39-1986م، 268.

وسيلة لدعم كفاح المكافحين وتحفيزهم على العمل والصمود في وجه المستغلين وتعنت المستعمر[1].

*كما تشكلت جماعة تحت السور وهي اسم لمقهى شعبي في تونس العاصمة ومن جماعته ولد الأدباء والفنانون وكان ظهور القصة بشكلها التقني، وتطوير الأغنية والمسرحية والقصيدة الشعرية وأشكال الرسوم ورقي سائر الفنون عامة. وتزعم جماعة هذا المقهى علي الدوعاجي، وأغلب أعضاء الجماعة كانوا من الشبان الثائرين المؤمنين بغدهم، سادهم جو من الالتحام والصراحة والتضامن، والإخاء وجمعتهم هواية الأدب والفن وحتى الفاقة أيضا. طالبوا بضرورة إصلاح التعليم وثاروا مع الشابي ورددوا قصائده ...

ويتفق الدارسون على أنه كان ذا شأن كبير في تطور الأدب التونسي الحديث بسبب كونه ملتقى للأدباء والفنانين وغيرهم[2]. وكانت صحافة جماعة تحت السور تمثل أرقى طور للصحافة في تونس من جميع جوانبها.

إن أهم الصحف جميعها من حيث جدة الأسلوب الصحفي، وبروز روح التمرد والحماسة، صحف جماعة (تحت السور) التي عرفت باسم تلك الجماعة التي قادت نهضة الصحافة الفكاهية خلال هذه المرحلة القصيرة فيما بين 1936م وسنة 1938م[3].

فمع عودة حرية الصحافة سنة 1936م نشطت من جديد، وكان من أنشطتها صحافة جماعة تحت السور هذه التي ابتدأت بأول جريدة لهم وهي جريدة السور التي صدرت في السنة نفسها.

وأصدرت مجموعة تحت السور عددا من المطبوعات المهمة والمؤثرة مثل العالم الأدبي التي صدرت في مارس 1930م شهرية ثم أسبوعية وأصدرت أعدادا خاصة كعدد فقيد الأدب التونسي الشابي واستمر صدورها لمدة 03 سنوات وتعتبر الفترة من 1914-1939م فترة

1 – رضوان إبراهيم، التعريف بالأدب التونسي، المرجع السابق، 167.

2 – رشيد الذوادي، جماعة تحت السور، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004 م، 32.

3 – محمد صالح الجابري، الشعر التونسي المعاصر، ،الدار العربية للكتاب، 1989 م، ج2، 214-215.

ظهور مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء والقاصين والنقاد... ساهم جميعهم في تفجير الوعي الوطني، أما المرحلة الثانية من 1952-1956م فقد طغى عليها الكفاح التحرري[1].

02- دور الجمعيات في الحركة التحررية:

2-1 الجمعيات الأدبية:

لم يكن التعليم وحده كفيلا بحفر الوعي الوطني لدى الأهالي، بل أرفقه الجمعيات الأدبية بتنظيم المحاضرات لنشر الأفكار الوطنية من خلال مشاركة مجموعة من أدباء صفاقس وشعرائها كالطاهر محفوظ والحبيب المزيو وعبد العزيز بن حسين والطاهر شريعة والهادي الملولي وغيرهم ممن يستقدمون من داخل البلاد ورغم أن هذه المحاضرات كانت تصطبغ ظاهريا بصبغة علمية وأدبية، فإن جانبا منها كان في الواقع ذا طابع سياسي وطني يسعى إلى تحريك السواكن واستنهاض الهمم[2].

لم تكن كثافة " السياسي " في مادة المحاضرات خاصية انفردت بها الجمعيات الأدبية بصفاقس عن نظيرها الموجود بالبلاد. إذ كانت جمعية الشبيبة المدرسية فرع قدماء الصادقية تعالج بالأساس مواضيع أدبية وتنظيم مسارات تعالج فيها كتابات اليساريين الفرنسيين أمثال جيد " Gide" ومالرو " Malraux" وبيوش " Pioch" الذين كانت كتابتهم تناوئ الاستعمار وتشرح علنا أمام جموع الحاضرين بعد ترجمتها من طرف تونسيين يحسنون الترجمة وتقابل بالتصفيق والهتاف. وقد بثت هذه القراءات في نفوس الشبان التونسيين مبادئ الاشتراكية والماركسية التي اعتبرت الوحيدة القادرة على تغيير الأوضاع وجلب الاستقلال لتونس[3].

وكانت الجمعيات الأدبية بصفاقس التي انبعثت في الثلاثينات من القرن الماضي خاصة مثل " كوكب الأدب " (سنة 1934 م) والجمعية اللخمية (سنة 1936 م) والاتحاد الصفاقسي الزيتوني (سنة 1937 م) وغيرها من الجمعيات كانت من الداعمين للحزب

---

[1] – محمد صالح الجابري ، الشعر التونسي المعاصر ج2 ،المرجع السابق، ص 217

[2] – مصطفى فاسي، البطل في القصة التونسية ، المرجع السابق ، ص100.

[3] – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، تونس2009 م، ص338.

الدستوري الجديد وتقوم إلى جانب بعض الجمعيات الفنية الأخرى (الجمعيات المسرحية) بدور مظلة الأمان للديوان السياسي وتوفر لزعمائه هامشا من الحرية للحركة والاتصال بالناس وترويج أفكارهم متفادين الاجتماعات السياسية العلنية والصريحة التي لم تكن الظروف دائما تسمح بانعقادها. فقد كان عدد أعضاء جمعية " الرابطة الأدبية "[1] بتونس يأتون بصورة دورية إلى مدينة صفاقس لإلقاء المحاضرات بالجمعية اللخيمة، وقد تمت إحدى هذه الرحلات سنة 1937 م على متن سيارة الحبيب بورقيبة ووضعت كل من الشيخ مختار بن محمود، والأستاذ عثمان الكعاك والشاعر محمد المرزوقي والمناضل علي البلهوان[2] لتقديم محاضرات في المسرح البلدي لكن السلطات الفرنسية منعت إتمامها[2]. كما كشفت عمليات التفتيش التي قام بها البوليس الفرنسي إثر أحداث أفريل 1938 م بمقر الجمعيات ذات الطابع الأدبي مثل " الاتحاد الصفاقسي الزيتوني " و" وكوكب الأدب " عن وجود وثائق وملفات تشير إلى تعامل مختلف هذه التنظيمات مع أعضاء الديوان السياسي. لهذا كانت السلطة الاستعمارية لا تتوانى في اتخاذ الإجراءات الصارمة والتعسفية ضد عقد المسارات وإلقاء المحاضرات معتبرة إياها تشويشا من شأنه أن يغذي العداء تجاه الحكومة الفرنسية ويحرس الأهالي على المقاومة، مثلما ورد ذلك في خطاب الذي ألقاه المقيم العام الفرنسي بيروطون بصفاقس أثناء الزيارة التي أداها لهذه المدينة سنة 1934 م وقال فيه " ... أما عن الأسباب التي دعتني لاتخاذ مثل تلك التدابير فهي الأزمة وخصوصا العداء وبعبارة أوضح المقاومة الموجودة بين طبقات الأمة التونسية التي انزوت واستكانت لنظريات اجتماعية أو جهوية. إن وسائل الدعامة الاجتماعية والخطب والرحلات والمقالات وجمع الأموال والشتم كونت تشويشا دل على أن أناسا في هذه في البلاد يريدون التمتع بالحرية ولا يفهمون شروط الاعتدال والتعقل التي يفرضها الاستعمار والتطبيق[3].

[1] – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 339–340.

[2] – علي البهلوان: ولد 1909م بتونس درس في المدرسة الصادقية ثم جامعة الساربون بباريس حاز على الإجازة في الأدب العربية، ينظر إلى الحزب الجديد 1937م، إثر الاستقلال شارك في انتخابات المجلس التأسيسي، توفي 1958.

[3] – الكراي القسنطيني: الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 342.

ويمكن أن نفهم من ثنايا خطاب بيروطون، أن الحكومة الفرنسية كانت واعية بخطورة العمل الجمعياتي الذي تجاوز أطره الثقافية والتطوعية والتأطيرية للخوض في غمار ما هو سياسي عبر الاجتماعات وإلقاء الخطب وكتابة المقالات وهي نفس الأساليب تقريبا التي كانت تنتهجها الحركة السياسية في نضالها مما يعطي انطباعا جليا عن التكامل بين هذه الجمعيات والأحزاب.

*النادي الأدبي (1937-1942م): تأسس خلال سنة 1937م من قبل الشيخ الإمام محمد بن عبد القادر بوسمة والحبيب جمعة، وعبد الحميد تقية رحيم الذي أصبح أستاذا في الآداب الفرنسية بالمعاهد الثانوية التونسية.

كان نشاطه يتمثل في تشجيع الشبان على الكتابة وإصلاح أعمالهم، وتنظيم المحاضرات والمسامرات، وشرح القصائد الشعرية التي تتغنى بالروح الوطنية، والرابطة العربية الإسلامية، كقصائد أبي القاسم الشابي ومصطفى خريف وحافظ إبراهيم وأحمد شوقي... وآثار هذين الأديبين الأخريين وغيرهما وكانت تنشر مجلات أدبية اقتنى النادي الأدبي لبعض أعدادها، كمجلة الهلال المصرية[1] التي كان الإقبال عليها كثيفا، لندرة المادة الثقافية ولتعطش الطبقة المثقفة التي بدأت تتكون إلى المعرفة والاطلاع على ما يدور في العالم وخاصة البلاد العربية من أحداث تتسارع. لكن لما اندلعت الحرب الإمبريالية الثانية توقف هذا النادي عن النشاط، وأصبحت الصحف والمجلات التي تدخل إلى طبلبة تقرأ في الدكاكين والمجالس الضيقة التي كان ينظم إليها التلاميذ والطلبة أثناء العطل المدرسية[2].

2-2 الجمعيات الكشفية:

لقد اضطلع النشاط الكشفي بجبهة صفاقس بدور أساسي في تأطير مجموعة من الشباب وتعبئتهم ولذلك تعددت مبادراتهم في مقاومة الاستعمار وذلك بالتركيز على إذكاء شعلة

[1] - مجلة الهلال المصرية: مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال أسسها جورجي زيدان سنة 1892م وصدر عددها الأول في 1 سيبتمبر من العام نفسه، وهي أول مجلة ثقافية شهرية عربية ولا زالت تصدر حتى اليوم.

[2] - الكراي القسنطيني: الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 228-229.

النضال الوطني سواء بالتكوين الجسماني أو النفساني. وتبعا لهذا يمكن اعتبار نشأة الحركة الكشفية بالمدينة من قبيل المبادرات الجريئة التي تمكنت من اختراق المجتمع الأهلي وأقنعته بتقديم نفسها على أنها حركة تربوية تدعوا إلى تقوية الذات والاعتماد على النفس والحفاظ على الهوية والدفاع عن البلاد.

فالبوادر الأولى لتأسيس أول جمعية كشفية بالجهة انطلقت يوم 28 جوان 1937م بتشكيل " فرع اتحاد الكشافة التونسية "[1] الذي ظهر للوجود بالعاصمة يوم 5 ماي من نفس السنة برئاسة الدكتور أحمد بن ميلاد عضو اللجنة التنفيذية للحزب القديم.

لقي الشباب الكشفي دعما من قبل الزعماء الوطنيين الذين كانوا يشجعون هذه الحركات باعتبارها رافدا للوعي الشبابي وصنوا للحركة الدستورية في التأطير والتهيئة لخوض التظاهرات ضد المستعمر[2]. كما تمكنت الكشافة بصفاقس عبر أساليب الدعاية المختلفة (الإقناع، دعم الحزب، تنظيم الاستعراضات) من استدراج العديد من الشبان إلى صفوفها وتخطب بإشعاعها أحياء المدينة وأرباضها عبر النفاد إلى التجمعات الحضرية المجاورة لها، فظهرت الأفواج والفرق تباعا بالقرى القريبة كالمحرس وجبنيانة وتحولت إلى مدارس للنشاط الثقافي والتأطير الشبابي[3].

وأظهر الشباب الكشفي بهذه الجهة خلال الفترة التأسيسية نضجا تنظيما هاما برز خلال تواتر الاجتماعات وإلقاء المحاضرات المتعلقة بالوطنية كتلك التي كان يلقيها محمود خروف رئيس جمعية الشبان المسلمين حول الدين والوطن في الكشافة، وإلى ذلك برز نشاط الفرق عبر إقامة المخيمات، إعداد البحوث السياسية والاجتماعية تحت عناوين متنوعة وجذابة الدستور والحكم الديمقراطي، النقابات واتحاد الشغل، عيد العروبة وتأسيس جامعة الدول

[1] – رشيد رحومة، تاريخ الحركة الكشفية بتونس 1916–1956م، منشورات وحدة الإعلام، تونس ط1، جوان 1984، ج1، ص 76.

[2] – AZOOZ–AZZedine– L Histoire ne pardonne pas Tunisie 1938– 1969– paris – Tunis 1988 p30.

[3] – عبد المجيد المسلاتي، تاريخ المنظمات الشبابية التونسية، دار سراس للنشر، تونس 1989 م ص 141.

العربية، تطور الحالة في فلسطين... وبالإضافة إلى المحاضرات فإن الأناشيد الكشفية كانت تنمي حب الوطن في نفوس الشبان وتجمل النشد، والسامع يتحمس لقضايا بلاده ويتحفز لنصرتها[1] مثل نشيد " هيا للميدان " مطلعه:

هيا للميدان يا جيل الشباب نسعى في إسعاد هذا الوطن

نمشي للعلياء في نهج الصواب في ظلام اليل أو في العلن

أو نشيد " يا شبابا " ومنه هذه الأبيات:

يا شبابا قد تسامى نحو إدراك المعالي

كسر القيد وسارع باتحاد للنضال

كما قام الجوالة بالتنسيق مع الجمعيات الأهلية الأخرى ومعاضدتها في أعمالها الاجتماعية والتربوية كالمساعدة في تنظيم دروس لمقاومة الأمية المتفشية في أوساط الشباب وإحياء الأعياد الدينية بتقديم الاستعراضات والتغني بالأناشيد لهذا باتت أنشطة الأحيان عن محاكمة بعض قادة الأفواج وتغريمهم[2] .

* الكشافة الإسلامية 1946م: كان بعض التلاميذ من منطقة البلدة وطلبتها منخرطين ببعض الجمعيات الكشفية بالعاصمة وسوسة والمهدية. وقد كان أبرزهم محمود الشبعان الصادقي الذي أصبح مفكرا في البيداغوجيا والعلوم الدينية، ذلك بمشاركته في " الجمبورية " الكشفي العالمي بفرنسا ضمن وفد الإيالة التونسية فقد كان منخرطا بأحد أفواج العاصمة[3].

وفي شهر جويلية 1946م نظمت شعبة طبلبة اجتماعا دستوريا دعت لحضوره نوابا عن شعبة المكنين وعن فوج كشافتها التابع لجمعية الكشافة الإسلامية القريبة من الحزب الدستوري الجديد، للمساهمة في تأسيس فوج بالبلدة يستبدل فرع كشاف المكارم. فتحمس أفراد الهيئة للفكرة

[1] – الحبيب بالعيد، تاريخ الحركة التونسية، مجلة روافد، العدد التاسع 2004 ، 135.

[2] – ضيف الله محمد، الحركة الكشفية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية المجلة التارخية المغاربية ع 67.68، 1992، 135.

3 – ضيف الله محمد (الزنابق الحمراء–الحركة الكشفية التونسية 1916–1965م) جامعة منوبة، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2009 م، 201.

وأشار رئيس الشعبة الطاهر معرف والشاب التجاني الشبعان الذي كان وقتئذ عميدا للشبيبة بتكوين فوج للكشافة يكون قائد له. فقبل هذا العرض وتخلى عن عمادة الشباب لفائدة عبد السلام شبيل الذي بقي بها إلى أن وقعت حادثة 23 جانفي 1952م. ولما كانت عملية التأسيس مستعجلة، كان المؤسسون من خارج النخبة المتعلمة (الزيتونية واللقيونية)، فلم يلحق الشيخ محمد بن عبد القادر بوسمة بكتابة الفوج إلا عام 1948م، ولم يقبل الإلحاق إلا بعد أن لاحظ ضجة رفض " كشاف المكارم " قد سكنت[1].

تأسس فوج الكشافة منتميا إلى جمعية " الكشافة الإسلامية " القريبة من الحزب الدستوري الجديد من دون بقية الجمعيات الكشفية التونسية بصفة رسمية في شهر أوت سنة 1946م[2] وكان من بين أعضائه المؤسسين له: الناصر بلقاسم محمد المرعوي وفرج بن فضل وعلي بلغيث وحسن عمار وحمودة بن صالح عمار الذي أصبح بعد الاستقلال مقيما بسوسة والتجاني الشعبان الذي ولي قيادة الفوج. وكلهم ليسوا زيتونيين ولا لقيونيين باستثناء علي بلغيث (طالب زيتوني)، فجلهم من المنتمين لكاتب الزاوية العياشية أو انتموا لبضع سنوات إلى المدرسة الفرنسية / العربية، وقد كان بعضهم يفتقر إلى الكفاءة في التعامل مع الناشئة (فظاظة، عدم مداراة، احتكار للنفوذ...)

وفي سنة 1947م تجددت الهيئة فخرج منها محمد المرعوي وحسن عمار والناصر بلقاسم الذين لحقوا بنشاط الشعبة وانضم إليها عامر إبراهيم والناصر بلال والهادي جمعة الذي انضم في وقت لاحق إلى الجيش الفرنسي بمقتضى عقد تجنيد. ومنذ سنة 1947م أصبحت الهيئة " تتجدد " كل سنة بتلك الأسماء نفسها إلى سنة 1952م سنة تحجير نشاط المنظمات بطبلبة بسبب حادثة شهر جانفي[3].

1 – الكراي القسنطيني: الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 229–230.

2 – ضيف الله محمد، الزنابق الحمراء، الحركة الكشفية التونسية 1916–1965م، المرجع السابق 80.

3 – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 231–232.

ونلاحظ أن أول كشاف طبلبي(محمود الشبعان بالعاصمة) كان غائبا في العملية التأسيسية إذ أن انتماءه لمدرسة الترشيح بالعاصمة جعله شديد الشعور بالاستقلالية الثقافية والسياسية مبكرا.

وكان الفوج يقوم بعديد المخيمات والخرجات واللقاءات مع أفواج أخرى كان ظاهرها الترقية والترويح والتكوين الشابي، وباطنها كان الهدف منه التركيز على مبادئ الوطنية فحب الوطن والدفاع عن استقلاله وذلك من الإيمان.

وسنة 1956م شارك الكشاف "علي بن علية شبيل" في المعسكر العربي الثاني بأبي قير بمصر ضمن الوفد التونسي تعبيرا لوجود الدولة التونسية في المحافل الدولية رغم الاستعمار وهو مظهر من مظاهر النضال.

*جمعية كشاف المكارم 1946م: كشاف المكارم هو إحدى جمعيات " المكارم " التي أسسها البشير عطية[1] بالمهدية سنة 1935م، وفي أكتوبر سنة 1946م تأسس فرع كشفي لجمعية مكارم المهدية بالبلدة، بقيادة "الشيخ محمود الغالي" أو الشيخ "الغالي" كما يدعى. فقد كان زميلا لمحمود عطية مدرس الخط بالفرع الزيتوني بالمهدية والذي كان كاتبا عاما للجمعية منذ عام 1945م حتى عام 1948م، فاقترح الأمر "الشيخ الغالي" مع رئيس الجمعية عمه البشير عطية فقبله وقد لقي من الجمعية الكثير من التشجيعات، علاوة على حضور رئيسها وبعض أعضائها وناشطيها الكهول والأحداث، في نشاط الفرع بالبلدة. وقد جعل "الشيخ الغالي" دار أهله ناديا[2]

ونجد صدى لفريق طبلبة " بجريدة " كشاف المكارم التي كان يصدرها القسم الكشفي بالجمعية، فقد كتب الجوال مصطفى بن الفقيه مقالا في العدد 20 شوال 1369هـ

[1] – البشير عطية: ولد 1906م بالمهدية اشتغل بالتعليم وله العديد من المؤلفات الموجهة للناشئة، تراس جمعية مكارم المهدية لفترات طويلة حتى 1951م ثم أصبح الرئيس الشرفي لها، توفي سنة 1978م.

2 – علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية، تعريب عبد المجيد الشابي 1905–1934م قرطاج، بيت الحكمة 1999م، 125.

(1950/8/3) عنوانه "غايتنا الكشافة" مبينا أنها تربية النشء الصغير تربية اجتماعية متمشية مع الناموس الديني والقوانين الأخلاقية العامة وتعهده بالفكاهة الحلوة والأسطورة اللطيفة، ثم تدريبه على فهم بعض نواحي الحياة وعلى تهيئته لخوض المعترك الاجتماعي وكيف يجب أن يكون مع أخوته ...

وكتب الجوال محمود عيارة من فريق طبلبة أيضا بالعدد نفسه "اعترافا بالجميل" تجاه جمعيته التي "ارتمى في أحضانها" مبينا أن صورته عن الكشفية كانت سيئة بتأثير مواطنيه، لكنه اكتشف مع القسم الكشفي بالمكارم أنها "تصقل النفوس من أدرانها وتوقظ العزائم من كبوتها" خاتما كلمته بـ "ليحيى كشاف المكارم وليحي مبدؤها".

والجوالان كانا تلميذين لدى القائدين "الشيخ الغالي" و"محمود عطية" بالفرع الزيتوني بالمهدية، وقد أصبحا معلمين[1]. وقد كان الشيخ الغالي ذا استقلالية سياسية واحتشادية وإن كان ذا نزعة وطنية وعربية واضحة، وواصل دراسته للجغرافيا بسوريا. وقد جوبه مسعاه الاحتشادي الاستقلالي بالرفض والعزل من قبل شعبة الحزب الدستوري الجديد والشبيبة الدستورية وخاصة فرع " الكشافة الإسلامية " الذي تأسس بدءا من أجل تحطيم فرع " كشاف المكارم " بالبلدة... فلم يكن عام 1952م بمحنته العصبية إلا ليكمل الضغط على وجود هذا الفريق فتكون نهايته.

ورغم أن طلبة " الشيخ الغالي " الطبلبيين بالفرع الزيتوني من أحياء البلدة... إلا أن المنخرطين كانوا جلهم من الحي العياشي. فقد كان استقطاب بعض طلبة الحي البلدي بالفرع لصوت الطالب الزيتوني مع ما يعنيه من تعبئة وتنقلات بين الفروع. لقد كان الشيخ الغالي يفتقد إلى مشروعية الحزب الدستوري الجديد، ولم يحر فرعه على الصمود طويلا بسبب صغر سن أطره (دون السابعة عشر) فخضع ناشئته لابتزاز بعض المناضلين من الشعبة للآباء تهديدا وترهيبا وهو مزال غضا[2].

1 – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 234.

2 – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 234-135.

2-3 الجمعيات الرياضية:

انبعثت بصفاقس منذ القرن العشرين، عدة جمعيات رياضية غايتها التكوين الجسمي والرياضي مثل " الجمعية الرياضة الإسلامية " سنة 1922م و" النادي التونسي " سنة 1928م و" النجم الرياضي القرقني " سنة 1934م، وهي لا تخضع لمبدأ الاختصا وإنما تقوم بمختلف أنواع الرياضات ولها في نفس الوقت أنشطة ذات صبغة ثقافية ومسرحية.

ولم تكن الممارسة الرياضية بالجهة زمن الاستعمار الفرنسي مجرد هواية فردية أو نفحة يتسلى بها الشباب، بل صارت تهم كامل المجتمع المحلي ومن ثمة سلطات الحماية نفسها. فالمشرفون على الفرق بالجهة كانت غايتهم بالدرجة الأولى خلق فضاءات تسلية وترفيه وميدانا مناسبا لسد أوقات الفراغ، ثم بدرجة ثانية تكوين مجتمع صالح لتنشئة أجيال من الشباب القوي والسليم يخدم البلاد ويساعد على نهضتها ونيل استقلالها[1].

وبما أن النشاط الرياضي كان وسيلة لاستنفاد طاقة النضال والتحدي فقد كان الأهالي يحرسون بصفة كبيرة على الوقوف إلى جوار فرق مدينتهم ولا يعرفون سبيل آخر سوى فوزها على الفرق المنافسة خصوصا منها الفرنسية الأمر الذي يشبع نفسيا رغبة الأهالي في رؤية الأجنبي مهزوما[2]. فقد دأب على سبيل الذكر المشرفون على النادي التونسي أثر تحقيق فوز على الجمعيات الفرنسية على تنظيم حفل يؤمه عدد هام من شباب صفاقس وهو ما كان يثير حفيظة السلطات الاستعمارية التي استدعت في إحدى المناسبات طبيب الجمعية أحمد العكروت لبحثه في المخالفة التي ارتكبها حين ألقى كلمة أثناء حفل انتصار النادي التونسي (حاليا النادي الرياضي الصفاقسي) على جمعية الرالوي الفرنسية اعتبرتها ذات بعد سياسي عندما أشاد بفوائد الرياضة كعامل من عوامل النضال ودعوته إلى تعضيدها وتشجيعها...

*النسر الرياضي (1948م): يعكس ظهور هذه الجمعية الاقتداء بالجمعيات الرياضية التي ظهرت في الساحل مثل النجم الساحلي ومثل الترجي الرياضي والنادي الإفريقي

1 – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، المرجع السابق، 94.

في تونس العاصمة. وهكذا التقليد الثقافي الجديد " الفتبول " ذو الأصل الإنجليزي يفرض نفسه بالاستعمال الحموي لناشئة البلدة منذ الثلاثينات، بتأثير من حصة الرياضة التي كانت تتم بالمدرسة الفرنسية العربية، ثم بالتعصب لجمعية النجم الرياضي الساحلي، وقد بدأ تعاطي اللعبة بالأزقة وساحات الأحياء بكرات لدائنية، وحتى بلفف من الخرق كان الناشئة يجمعونها لبعضها البعض ويربطونها بخيط ربطا متينا حتى تكون على شكل كرة، أو كانوا يملؤون " شاشية " قديمة اسودت من الأوساخ خرقا، فيربطونها عليها لتكون على شكل كرة يضربونها بالأقدام الحافية غير آبهين بالأوجاع والآلام وربما الأورام التي يسببها ضربها ودفعها إلى الأمام[1].

ظهرت هذه الجمعية يوم 14 أوت 1947م. وأهم المؤسسين الأوائل: الهادي بن عبد القادر تقية وعبد الرزاق تقية شقيقه وحسن الشعبان والهاشمي بن عياش (ابن شيخ البلدة: عبد العزيز بن عياش) وعبد المجيد عطية (لم يكن ابن طبلبة)، و منصور كريم وسالم بيوض الذي تولى تحرير القانون الأساسي. وهم زيتونيون وليسوا منخرطين بالحزب الدستوري الجديد آنئذ[2].

بدأت الجمعية غير منتمية حزبيا، ولكن سرعان ما اضطرت لإدراج مناضلي الحزب الدستوري الجديد لتكون لها مشروعية محلية ولا يكون مصيرها كمصير فريق " كشاف المكارم"[3]، فالطلبة الزيتونيون، هم الذين أسسوها عمليا وذلك بالعاصمة وليس بطبلبة.[4]

لقد ساهمت الجمعية بقسط وافر في الحركة التحريرية وفي الإعداد لمعركة 23 جانفي 1952م بالتوعية والتوجيه وتركيز روح الوطنية كما شاركت بنصيبها في تدعيم روح الاستقلال في ربوع طبلبة لكونها مدرسة تربوية تخرج منها العديد من الشبان تحملوا فيها بعد عديد المسؤوليات في الوظيفة العمومية مثل السيد الهادي التومي (شغل موقعا في الوظيفة العمومية)

1 – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 236.

2 – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، المرجع السابق، 94.

3 – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، المرجع السابق، 95.

4 – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 236-240.

وبوبكر بلقاسم القاضي وكان بعضهم من المقاولين مثل طاهر بلغيث وفرحات بيوض وطاهر بلكحلة، ومن ذوي المواقع السياسية مثل الهادي تقية وعبد الرزاق معرف الذين ارتقوا إلى المسؤوليات السياسية العليا.

وكانت مساهمة الجمعية في معركة بنزرت بارزة... فكان من نتائج مشاركتها أن تلقت صكا بمقدار مائة وخمسين دينارا مصحوبا ببطاقة عليها هذه العبارات: هدية من الديوان السياسي جزاء لما قامت به الجمعية من جليل الأعمال إبان الكفاح التحريري.

2-4 جمعيات المعارف والمدارس:

* الشبيبة المدرسية 1947م: جدد تكوينها في صائفة 1947م لينشط داخلها وعلى منبرها تلاميذ المعاهد الثانوية (معهد الذكور بسوسة والصادقية والعلوية ومعهد خزندارباردو) عند عودتهم إلى طبلبة خلال العطل وكان يشترك في نشاطها " المدرسون " وأغلبية " الطلبة ". وتعاونوا جميعا لجعل جمعيتهم الثقافية تقوم بنشاط ثقافي متميز وغزير، انعكست آثاره على مختلف الفئات الاجتماعية، فكونت مكتبة لإعارة كتب المطالعة باللغتين العربية والفرنسية إلى التلاميذ الراغبين في تمتين زادهم العلمي والمعرفي وكان مقرها زاوية سيدي بن عيسى[1]. كما بعثت في صلبها فرقة مسرحية مثلت عدة " روايات " (مسرحيات) ذات مغاز تاريخية ووطنية ودينية هامة لاقت إقبالا جماهيريا كبيرا منها: فتاة القيروان، فتاة طرابلس، بلال... وكان الغرض من هذه المسرحيات حسب عمر الهباشي[2] تركيز المبادئ الدينية في النفوس والاعتزاز بالانتماء الحضاري العربي الإسلامي للتونسي الذي كان المستعمر يحاول تحطيم هويته وغرس مبادئ الوطنية، والتوعية الثقافية والحث على الأخذ بأسباب التطور والثورة على الظلم وعدم الرضا بالدون، و توحيد جهود الوطنيين للمساهمة في التصدي للاستعمار[3].

[1] – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 235.

[2] – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، المرجع السابق، 100.

[3] – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 237.

* البعث الثقافي: (1954م): حاولت فئة من تلامذة المدارس الثانوية تكوين جمعية ثقافية جديدة أطلقوا عليها تسمية "جمعية المعارف" لتعوض "الشبيبة المدرسية" التي توقفت عن نشاطها بسبب الأمر الصادر عن السلطة الفرنسية في النصف الثاني من سنة 1953م والقاضي بإيقاف أنشطة فروع الشبيبة المدرسية في كامل البلاد التونسية. كما تكونت من جمع من طلبة الجامع الأعظم جمعية ثقافية أخرى أعطى لها اسم "خلية الطلبة الزيتونيين" لتكون في نشاطها موازية لـ "جمعية المعارف" التي أنتجت باعثيها من بينهم هيئة وقتية مهمتها إعداد القانون الأساسي للجمعية وإيداعه لدى سلطة الإشراف، وكانت هذه الهيئة تتكون من الهادي التومي (مدرسي)، سالم تقية (ترشيحي)، حسين بن منصور شبيل (مدرسي)، محسن تقية (مدرسي)، أحمد محرز خليل (مدرسي، أصبح بوزارة الداخلية)، والطاهر عيارة ابن المناضل الذي ساهم بعدد هام من الكتب التي تملكها أسرته، لتكوين نواة لمكتبة عمومية تابعة للجمعية الفتية. ولما حلت صائفة 1954م قررت هيئة "جمعية المعارف" التأسيسية عقد جلسة عامة بالأحباء الذين بدؤوا يقتنون انخراطاتهم التي تخول لهم مناقشة نشاط الجمعية الحديثة ووضع تصورات لبرامجها المقبلة. ولما أحيلت الكلمة إلى المنخرطين الجدد الذين حضروا الجلسة العامة، رجا المناضل عبد القادر بن محمد بن ريانة الخريج من جامعة الزيتونة الحاضرين نبذ الخلافات وتجاوز الهامشيات، فقال: "إننا أبناء شعب واحد ووطن واحد لا يفرق بيننا شيء يعمق خلافاتنا السياسية[1].

* المعارف (1953-1954م): تأسست " جمعية المعارف " سنة 1953م رديفا للحركة التضامنية أثناء محنة البلدة العصيبة بين عامي 1952 و1954م، وبديلا وقتيا عن تعطل دروس الزاوية العياشية وإحجام الكثير من الأهالي عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة الفرنسية / العربية ومدرسة الهداية ومدرسة النجاح، لعدة أسباب منها: مطاردة أبنائهم وإزعاج السلطات

1 - الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 242.

لأمهاتهم. وقد كان جل هيئتها ومنخرطيها من الحي العياشي. ولكن نشاطها كان موسميا مرتبطا بالعطل والأعياد لأن جل المنخرطين كانوا يدرسون بالعاصمة وسوسة[1].

2-5 الجمعيات المسرحية:

تعددت بصفاقس إلى جانب الجمعيات الأدبية الفرق المسرحية مثل " النجم التمثيلي " سنة 1931م و" الهلال التمثيلي " و" المسرح القرقني " سنة 1934م، وهي جمعيات لفتت انتباه مثقفي الجهة إلى فن التمثيل الذي يمكن اعتماده كأداة رقي بالوطن وحفاظ على اللغة العربية في وجه محاولات المستعمر الاعتداد عليها[2].

فبني مسرح محلي متطوع قابل للاستجابة إلى أذواق وشواغل الأهالي، وهو بذلك يسعى إلى بث الوعي والمشاعر الوطنية، وهو ما دفع بالسلطات الفرنسية في العديد من الحالات إلى التدخل لمنع عرض المسرحيات التي ترى في اعتقادها أنها " هدامة ".

وإذا ما تأملنا عينات من العروض المسرحية تلك التي تم عرضها خلال فترة ما بين الحربين، انتبهنا إلى عناوين مثل مسرحية " فتاة طرابلس " سنة 1932 م، ومسرحيات " بيروت" و"عشرون يوما في السجن"سنة 1934 م، و" الشهيد " سنة 1935م، وهي مرتبطة بأحداث 9 أفريل 1938م، وهو ما يولد لدينا فكرة واضحة عن مغزى المواضيع التي كانت تتناولها مسرحيات هذه الفرق بهدف التوعية وبث الشعور الوطني في نفوس الأهالي[3].

ولم تدخر دولة الحماية جهدا لإجهاض نشاط الجمعيات المسرحية بالجهة بشتى السبل لأن المثقفين المشرفين على إدارتها كانوا يريدون على حد تعبير " محمد فريد غازي " إدخال الفكر الإصلاحي على خشبة المسرح بطريق الوعظ والإرشاد. وأدى هذا إلى التخوف من مخاطر النشاط المسرحي السياسي الذي نلمسه بين ثنايا رسالة المراقب المدني إلى المقيم العام بتاريخ

1- المرجع نفسه، 229.

2 – إبراهيم رضوان، التعريف بالأدب التونسي، المرجع السابق، 211.

3 – مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، 36.

19 فيفري 1936 م والذي قال فيها: " من الممكن بسبب الحماس والحقد المتنامي أن يأخذ هذا النشاط طابعا سياسيا، لذلك أرى من الواجب مراقبة هذه الأعمال بكل دقة[1].

لقد أدى هذا التحفظ الاستعماري تجاه النشاط المسرحي إلى حد التعرض للنصو ذات البعد السياسي المباشر عبر المراقبة المدنية التي كانت تقرأ فحواها ثم تتخذ قرار عرضها أو رفضها. وكانت تضع علامة حمراء تحت كل عبارة تبدو لها مثيرة ولا يتم الترخيص للعرض إلا عند الالتزام ما علم بالون الأحمر. فقد تعرضت بعض الجمعيات إلى هذا الموقف مثل جمعية التهذيب حين عزمت على تقديم مسرحية " فتاة طرابلس " يوم 13 نوفمبر 1937م التي تروي أحداثها مقاومة الشعب الليبي للاحتلال الإيطالي، إذ وقع تأجيل العرض إلى يوم ديسمبر من السنة نفسها بعد الالتزام في المراقبة المدنية بحذف بعض المقاطع. نفس الإشكال تعرضت له جمعية " المسرح القرقني " حين عزمت على عرض مسرحية " الدم " يوم 14 أفريل 1938م في علاقة بأحداث 9 أفريل إذ لم يوافق المراقب المدني إلا بعد اشتراطه حذف مقاطع[2]. وأدى هذا التشديد والحزم إلى حد منع تأسيس جمعيات جديدة ورفض منحها التأشيرة القانونية كما تم لجمعية اليقظة المسرحية ولكن هذه الجمعيات جعلت الرأي العام الأهلي يقف على مساوي الاستعمار وسلبياته.

[1] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881– 1956م، المرجع السابق، 347.

[2] – الكراي القسنطيني، الجمعيات بين التأطير والتوظيف، المرجع السابق، 340.

الفصل الثالث: دور الصحف والمجلات والنخب خارج تونس في عملية التحرير الوطني.

01- الصحـــف الســـياسيـــة.

02- المجلات العلمية الثقافية.

03- دور المهاجرين في النضال الثقافي.

01- الصحف السياسية:

1-1 الحاضرة (1888 – 1911م):

ظهرت يوم 2 أوت 1888م، وهي أول جريدة غير رسمية باللغة العربية، ظهرت بإدارة أحد قدماء تلامذة المعهد الصادقي، وهو المرحوم علي بوشوشة الذي استقال من مهامه الإدارية ليتفرغ للصحافة وقد تحصلت الجريدة على مساهمة عدد من رجال الإصلاح المشهورين أمثال البشير صفر والشيخ سالم بوحاجب ومحمد السنوسي والضابط محمد القروي الذي هو من قدماء المدرسة الحربية ببارد و[1].

وانتشرت الجريدة انتشارا واسعا في الأوساط التونسية بالخصوص، وذلك بفضل رعاية الشيخ سالم بوحاجب، كما أن إدارة الحماية لم تناهضها نظرا إلى ما كانت تمتاز به من لهجة معتدلة، وبناءا على ما كان للحضارة الأوربية من تأثير على مسيريها ومحرريها. ومن أجل ذلك فقد حظيت بتشجيع السلط الفرنسية بالإيالة وفي مقدمتها الكاتب العام للحكومة رونيو ومدير العلوم والمعارف ماشوال. ولم تتوقف عن الصدور إلا إثر أحداث الجلاز سنة 1911 م حيث تم تعطيلها بقرار إداري صادر في 8 نوفمبر 1911 م.

وقد وقفت ضد غتصاب المعمرين للأراضي الفلاحية التونسية، إذ دعتهم إلى التشبث بأراضيهم وإلى تكوين جمعيات فلاحية ونادت بضرورة تدعيمها بالقروض[2].

1-2 الزهرة (1890- 1959م)

أصدرها عبد الرحمان الصنادلي[3] في سنة 1889م، وقد كان لها تأثيرا إيجابيا حيث إنها أعادت الحماس إلى رجال الإصلاح المعتدلين بالخصوص جماعة الحاضرة[4]. هذا وقد شهد

---

[1] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م، المرجع السابق، ص327.

[2] – علي العريبي، الحاضرة أول جريدة بتونس، المجلة التاريخية المغربية، العدد42-44 ،1986 م، ص197-198.

[3] – عبد الرحمان الصنادلي: ولد سنة 1850م من أسرة جزائرية استقرت بتونس قبل الحماية، درس بالزيتونة والأزهر، وبدأ حياته الصحفية بمصر، ثم عاد لتونس وأسس جريدة الزهرة، توفي 27 أكتوبر 1935م.

[4] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني، (1860-1914م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص40.

النشاط الصحفي تطورا ملحوظا بعد إلغاء الضمان المالي في سنة 1901م، فتعددت الجرائد اليومية والمجلات الدورية التي لا تقتصر على نشر الفصول بل تنشر أيضا البحوث الأدبية النقدية والشعر والدراسات التاريخية[1]. أما فيما يتعلق بعدد صفحاتها فإنها بدأت بصفحتين ثم تطورت إلى ستة صفحات، ومعدل سحبها يتراوح بين ثمانمائة وألفين نسخة، وكانت سياستها تقوم على تقديم الأخبار بطريقة اختيارية سريعة خدمة للوطن مما يساهم –في نظرها– في تعزيز روح المتعة، كما أعلنت رفضها لمظاهر اغتصاب الأرض[2].

1-3 الصواب (1904 – 1911م):

وهي جريدة عربية سياسية أدبية، ثم أصبحت أدبية وطنية سياسية اقتصادية، أصدرت أول عدد لها في 1 أفريل 1904م، وهي أسبوعية ثم أصبحت نصف أسبوعية. أما مضمونها فهو سياسي إخباري، واتجاهها وطني إسلامي، ومديرها محمد الجعايبي[3]، ومعدل سحبها يتراوح بين ألف وثلاثة آلاف نسخة، وهدفها خدمة البلاد والدفاع عن الحقوق وإظهار الحقائق وطرح المشاكل السياسية الهامة، وقد فتحت أعمدتها لعدد من الكتاب البارزين أمثال محمد بن الأمين الخلصي الذي نشر سلسلة من الفصول بعنوان (حديث مع الوالي) عبر فيها عما يعانيه وطنه المحتل من مصائب وآلام وذلك عند رؤية العلم الفرنسي يرفرف على العاصمة، وقد تعطلت عن الصدور إثر أحداث الجلاز 1911م حيث صدر في حقها مرسوم في 8 نوفمبر 1911م.

1-4 الرشدية (1904 – 1910م):

وهي جريدة يومية سياسية أدبية تجارية، أصدرت أول عدد لها في 13 سبتمبر 1904م، ومضمونها إخباري جامعي، ومديرها حسين بن عثمان[4]، وعدد صفحاتها أربعة،

---

[1] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المرجع السابق، ص331.

[2] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني(1860-1914)، المرجع السابق، ص41.

[3] – محمد الجعايبي: ولد بتونس سنة 1876م، درس بالزيتونة واشتغل بالتجارة، وأسس عدة جرائد، وهو محرر في عدة صحف، ويعتبر من مؤسسي الحزب الحر الدستوري، ويعتبر من أبرز الوطنيين، توفي في ماي 1938م، ينظر: اللولب حبيب حسن، المرجع السابق، ص43.

[4] – حسين بن عثمان: ولد بقرية، في 27 ماي 1875م، درس بالصادقية، واشتغل مترجم وأصدر عدة جرائد.

ومعدل سحبها ألف وخمسمائة نسخة، واتجاهها وطني معادي لسياسة الحماية، وقد كانت توزع بالمشرق العربي وقسنطينة وليبيا والجزائر والمغرب الأقصى واحتجبت عن الصدور يوم 9 ماي 1910.[1]

1-5 القلم (1903 – 1905م):

وهي جريدة أسبوعية سياسية أدبية تصدر كل يوم اثنين، وأول عدد لها ظهر في 3 جويلية 1904م. أما مضمونها فهو إخباري جامع، ومديرها محمد البحري[2]، ومعدل سحبها ستمائة نسخة، واتجاهها مصري، وكانت تعتني بمشاغل التونسيين وتتعرض من خلاله إلى مظاهر القهر المسلط على التونسيين، حيث توقفت عن الصدور في 28 أوت 1905م.

1-6 السعادة العظمى (1904 – 1905م):

وهي جريدة أدبية إسلامية شهرية، صدر أول عدد لها يوم 2 أفريل 1904م، أما مضمونها فهو أدبي ديني أخلاقي تاريخي، وتوجهها إسلامي إصلاحي، ومديرها الشيخ محمد الخضر بن الحسين[3]، وعدد صفحاتها ستة عشرة صفحة، ومعدل سحبها خمسمائة نسخة، وأصدرت واحد وعشرين عددا، تعطلت في جانفي 1905م، والملاحظ أن مجلة " السعادة العظمى " تهتم بالدين وفي الآن ذاته تدعو المسلمين إلى تمثل روح التجديد، وتنصحهم بعدم الأخذ بمظاهر النص القرآني في التفسير كما فسره الأئمة، وتذكرهم بأن باب الاجتهاد ما زال مفتوحا، ونشرت القصائد الشعرية والرحلات وبالخصوص رحلة صاحب المجلة الشيخ الخضر

[1] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الولي الوطني(1860-1914م)، المرجع السابق، ص45.

[2] – محمد البحري: ولد بتونس سنة 1884م، درس بالصادقية، وهو عضو ناشط في حركة الشباب التونسي.

[3] – محمد الخضر بن الحسين: من مواليد نفطة عام 1873م، درس بالزيتونة وعين قاضيا لمدة سنتين ثم تفرغ للتدريس بالزيتونة، وسافر إلى المشرق العربي للتعريف بالقضية المغربية، وأسس عدة مجلات وتولى مشيخة الأزهر سنة 1952م، وتوفي في 12 فيفري 1858م.

حسين إلى الجزائر في سنة 1906م[1]، كما ساهمت في تنوير الرأي العام وتنبيهه إلى ضرورة الإصلاح والدعوة إلى إصلاح التعليم، وأكدت على مقاومة الحماية[2].

1-7 تونس 1905م:

هي جريدة أسبوعية العمية سياسية تجارية تصدر كل يوم خميس وأول عدد لها ظهر في 28 جوان 1905م، واتجاهها معتدل إزاء الحماية الفرنسية، أما مضمونها فهي إخبارية جامعة، ومديرها صالح بن محمود[3]، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، كما أن محررها يصنفها بأنها صوت الأمة والمدافع عن مصالحها وحقوقها وهي مرآة تعكس حقائق البلاد، والملاحظ أن جريدة " تونس " أصدرت أربعة عشر عددا، وتوقفت سنة 1905م، مع الإشارة إلى أنها اهتمت بقضية إصلاح التعليم، وآمنت بالعلم كوسيلة للنهضة بتونس، وبالتفتح على الحضارة الغربية كوسيلة للرقي[4].

1-8 حبيب الأمة 1906م:

جريدة أسبوعية تصدر كل يوم خميس سياسية اقتصادية العمية، ظهر أول عدد لها في 17 ماي 1906م، مضمونها سياسي إخباري، واتجاهها إصلاحي، غايتها إرشاد المسلمين إلى سبل النهضة، مديرها عبد الرزاق غطاس[5]، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، وأصدرت أربعة عشر عددا، وآخر عدد لها كان في 30 أوت 1906م[6].

---

[1] – محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، المصدر السابق، ص265.

[2] – محمد مواعدة: محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، تونس 1974، ص 137– 141.

[3] – صالح بن محمود: ولد بتونس في 09 جوان 1880م، درس بالصادقية واشتغل مترجما، ولكنه استقال وتفرغ للعمل الصحفي، حيث أسس عدة جرائد، وساهم في تحرير العديد منها، وعين مديرا للخلدونيين لمدة عشرين سنة.

[4] – حمدان محمد، أعلام الأعلام بتونس، المرجع السابق، ص 68 –71.

[5] – عبد الرزاق غطاس، ولد بتونس عام 1880م، درس بالصادقية وأسس جريدة ثم مجلة وساهم في تحرير العديد منها، وهو عضو ناشط في حركة الشباب التونسي، هاجر إلى الخارج.

[6] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الولي الوطني(1860–1914م)، المرجع السابق، ص48.

تم تأسيسها لخدمة مصالح التونسيين، حيث كانت تنادي بإصلاحات وتناضل من أجل نشر العلوم، إلى جانب كل هذا نجدها تهاجم سلطات الحماية، وساهمت كذلك في توطيد الأحاسيس القومية عند التونسيين وتطوير وعيهم الوطني[1].

1-9 المزعج 1906م:

هي جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية، أصدرت أول عدد لها في أوت 1906م، مضمونها سياسي إخباري، واتجاهها مناهض للحماية والعرش الحسيني، علما بأن مديرها محمد بن عمران[2]، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، وأصدرت تسعة عشر عددا، وآخرها في 12 ديسمبر 1906م، مع الإشارة إلى أنها تعطلت بقرار إداري في 23 ديسمبر 1906م، والملاحظ أنها عرفت بتوجهاتها الوطنية والإسلامية، فهي تدافع عن التعليم وتوقظ النفوس وتبين مصالح التونسيين وتذكرهم بضرورة انتهاج منحى إصلاحي للبلاد من أجل تقدمهم ورقيهم، كما أنها عملت على بعث الحيوية في المشاعر الوطنية، وتقوية الأحاسيس القومية ، كل هذا بفضل مواقفها[3].

1-10 المرشد(1906 – 1908م):

وهي جريدة أسبوعية عالمية سياسية قضائية تجارية، تصدر كل يوم جمعة، أول عدد لها ظهر في 23 نوفمبر 1906م، مضمونها إخباري جامعي، واتجاهها وطني إسلامي، مديرها سليمان الجادوي[4]. عدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف نسخة[5].

---

[1] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني(1860-1914م)، المرجع السابق، ص 48.

[2] – محمد بن عمران، ولد بتالة، درس بالزيتونة، تميز بمناهضته للحماية، وأصدر عدة جرائد وساهم بمقالته في العديد من الصحف، ينظر: حبيب حسن اللولب، المرجع نفسه، ص 50.

[3] – حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني(1860-1914م)، المرجع السابق، ص 50.

[4] – سليمان الجادوي، من أصل ليبي ولد عام 1876م بجربة درس بالزيتونة ثم الخلدونية، وأسس عدة جرائد وهو عضو ناشط في الحركة الوطنية التونسية توفي يوم 19 نوفمبر 1951م. ينظر: اللولب حبيب حسن، المرجع نفسه، ص 51.

نسخة[1]. تعطلت نهائيا بقرار في 13 ديسمبر 1908م، والملاحظ أن صاحبها يعتبرها صوت الشباب التونسي، وأشرفت كذلك منبرا لدفاعها عن القضية التونسية، ومن خلال كل هذا نلمس أنها ساهمت في تفعيل الحس الوطني لدى التونسيين من خلال ما تنشره من مقالات ودراسات[2].

1-11 الحقيقة 1907م:

وهي جريدة يومية إخبارية سياسية أدبية عادلية، صدر أول عدد لها يوم 10 مارس 1907م، مضمونها سياسي إخباري جامعي، واتجاهها موالٍ للسلطة العثمانية، وما يلاحظ أنها أصبحت أسبوعية وغير منتظمة، ومديرها عثمان بن الحاجي بن عمر[3]، عدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، أصدرت مائة وثمانية وأربعون عددا، آخرها في 13 سبتمبر 1907م. والجدير بالذكر أن جريدة "الحقيقة " كان لها تأثير قوي، حيث تذكر الحقائق دون تحفظ، وأشرفت بمهاجمتها للحماية[4].

1-12 المنبر 1907م:

وهي جريدة أسبوعية سياسية أدبية، أصدرت أول عدد لها في 12 ماي 1907م، اتجاهها وطني إسلامي، مديرها الشادلي المولهي[5]، أما عدد صفحاتها أربعة، معدل سحبها ألف نسخة، أصدرت اثني عشر عددا، وآخره في 5 ديسمبر 1907م، والملاحظ أن جريدة "المنبر "

---

[1] – محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1960م)، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص193.

[2] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب، بيروت، 1985، ج 2، ص 07.

[3] – عثمان بن الحاجي بن عمر، ولد بتونس عام 1870م، اشتغل وكيلا ثم كاتبا، تميزت مواقفه بمناهضة الحماية ومساندة الدولة العثمانية، ينظر: محمد حمدان الأعلام، تونس، ص 214.

[4] – محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1960م المرجع السابق، ص195.

[5] –الشادلي المولهي: ولد بتونس عام 1897م، من أصل تركي، درس بالصادقية، ولين قاضيا، ولكنه عزل ودخل معترك الصحافة حيث ساهم في تحرير العديد من الجرائد، ويعتبر عضو ناشط في الحركة الوطنية التونسية. ينظر: حبيب حسن اللولب ،المرجع السابق، ص52.

كانت تدافع عن المصالح القومية والإسلام، ونلمس ذلك من خلال مطالبتها بإصلاحات مثل نشر العلم وتعميمه وأحقية العمل

1-13 العدلية (1907 – 1908م):

وهي جريدة أسبوعية إخبارية أدبية تجارية، أول عدد لها صدر في 5 مارس 1907م، مضمونها سياسي إخباري جامعي، واتجاهها إسلامي وطني قريب من حركة الشباب التونسي، ومديرها الهادي بن أحمد باش الهرقلي[1]، ويساعده في التحرير عبد العزيز الثعالبي، عدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، وآخر عدد لها صدر يوم 16 ديسمبر 1908م، وأصدرت ثمانية عشر عددا، وانقطعت تلقائيا يوم ديسمبر 1908م لقلة إمكانياتها[2].

1-14 التقدم (1907 – 1911م):

وهي جريدة أسبوعية أدبية تجارية، أول عدد لها صدر في 30 جويلية 1907م، ومضمونها إخباري جامعي، واتجاهها وطني إسلامي، ومديرها البشير الفورتي[3]، ويساعده الشاذلي المولهي، ومحمد الجعايبي. والملاحظ أنها أصبحت يومية في 1 جويلية 1908م، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها خمسمائة نسخة، وآخر عدد لها سنة 1911م. والجدير بالذكر أن هدفها كان التعريف بأمجاد المسلمين والدفاع عن مصالح التونسيين وحقوقهم، وفي الآن نفسه طالبت بحق العمل وأكدت على ضرورة الالتفاف حول السلطان العثماني. فعلى ضوء ما تقدم تمكنت من غرس مبادئ التحرر عند عامة التونسيين[4].

1-15 المنصف (1907 – 1908م):

وهي جريدة أسبوعية إسلامية سياسية أدبية، أول عدد لها صدر في 19 أكتوبر 1907م، مضمونها سياسي إخباري جامعي، واتجاهها معتدل إزاء الحماية الفرنسية، علما بأن

[1] –الهادي بن أحمد باش الهريقلي: ولد سنة 1875م، درس بالكتاب والزيتونة وصاحب أعمال حرة.

[2] – حسن اللولب، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني(1860–1914م)، المرجع السابق، ص 53.

[3] –البشير الفورتي: ولد بتونس سنة 1882م، درس بالزيتونة، وأسس جريدتين منها ولد البلاد، وساهم بكتاباته في العديد من الصحف، وكان عضوا ناشطا في الحركة التونسية، وتوفي يوم 15جانفي 1954م.

[4] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، المرجع السابق، ج4، ص34.

مديرها محمد الشريف التيجاني[1]، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، وآخر عدد لها في 19 ماي 1908م، وتوقفت بقرار إداري صدر في 25 ماي 1908م، عرفت بالتزامها لخدمة الوطن وتعزيز نضاله.

1-16 التسامح 1908م:

وهي جريدة أسبوعية العمية أدبية إخبارية إسلامية أصدرت أول عدد لها يوم 16 جويلية 1908م، مضمونها إخباري عام، واتجاهها وطني إسلامي، مديرها محمد الشريف التيجاني، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها بين ثمانمائة وألف نسخة، توقفت إثر أحداث الجلاز بقرار إداري صادر في 8 نوفمبر 1911م، كانت تدعو إلى نشر العلم[2].

1-17 مرشد الأمة 1909م:

وهي جريدة أسبوعية العمية سياسية تخدم الملة والوطن، أول عدد لها سنة 1909م، ومضمونها سياسي إخباري جامعي، مديرها سليمان الجادوي، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف نسخة، وتعطلت إثر أحداث الجلاز بقرار إداري صادر في نوفمبر 1911م، كما أن الجدير بالذكر أنها تتميز بنفس شديد العداء إزاء الحماية، وتدافع بحزم عن القضية الوطنية، وتنشر كل ما من شأنه أن يساهم في تطوير الحس الوطني وتجديد روح الإسلام[3].

1-18 التونسي (1909 – 1912م): وهي جريدة أسبوعية، تأسست للدفاع عن حقوق المواطنين التونسيين، أول عدد لها صدر في 8 نوفمبر 1909م، مديرها علي باش حانبة[4]،

---

[1] – محمد الشريف التجاني: ولد سنة 1886م، بمجاز الباب، درس بالزيتونة دخل معترك الصحافة سنة 1907م، وأصدر العديد من الجرائد.

[2] – حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس نشأتها وتطورها، تونس، الدار التونسية للنشر، 1977 م، ص 12.

[3] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق، ص 07.

[4] – علي باش حانبة: ولد بتونس عام 1875م، من أصل تركي، درس بالصادقية، اشتغل مترجما وفي الآن ذاته درس الحقوق بالمراسلة حيث تحصل على إجازة أهلته دخول سلك المحاماة، وأسس العديد من الجرائد، ويعتبر زعيم حركة الشباب التونسي، وإثر أحداث 1911م، نفته فرنسا إلى مرسيليا ومنها هاجر إلى الأستانة، وتوفي يوم 29 أكتوبر 1918م خارج أرض الوطن.

ويساعده في التحرير عبد العزيز الثعالبي، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف وخمسمائة نسخة، وأصدرت تسعة وستين عددا، وتجدر الإشارة أنها تعطلت إثر أحداث الجلاز بقرار إداري صادر في 8 نوفمبر 1911م، ثم عادت إلى الصدور في 17 فيفري 1942م، ولكنها تعطلت من جديد إثر إضراب التلام، صدر في حقها قرار إداري صادر في 13 مارس 1912م، كما أن الجدير بالملاحظة أن جريدة التونسي ساهمت في توحيد المشاعر الوطنية والتوجهات الفكرية، كما عملت على تنمية الحس الوطني من خلال ما تقدمه من دراسات وأخبار تتعلق بالوضع الداخلي بتونس[1].

1-19 النصر 1910م:

وهي جريدة أسبوعية سياسية أدبية اشتراكية، أول عدد لها صدر في 8 سبتمبر 1910م، اتجاهها سياسي إخباري، ومديرها محسن زكريا[2]، وعدد صفحاتها أربعة، ومعدل سحبها ألف نسخة، وأصدرت اثني عشر عددا، وآخر عدد لها صدر يوم 1 ديسمبر 1910م، كما أنها تعطلت بقرار إداري صدر في 7 ديسمبر 1910م بسبب نقدها للحماية والجمعية الشورى[3].

1-20 صحيفة الاتحاد: جريدة صدرت سنة 1920م لصاحبها الشاذلي بن الحطاب، وهي من الصحف الوطنية التونسية.

1-21 صحيفة الإرادة: وهي جريدة لسان اللجنة التنفيذية للحزب القديم، وأداة معارضتها للحزب الدستوري الجديد الذي تأسس في 02 مارس 1934م، وقد تواصل صدورها بين انتظام وتعثر من سنة 1934 وحتى سنة 1955.

1-22 صحيفة الأسبوع: جريدة صدرت سنة 1945م لصاحبها نور الدين محمود، ونشرت لعدد كبير من الجزائريين.

---

[1] – محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1956م، المرجع السابق، ص181.

[2] – محسن زكريا: ولد بالمرسى عام 1872م، درس بالصادقية وأصدر جريدتين، ثم التحق بقسم الصحافة في الكلية العامة للحكومة.

[3] – حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس نشأتها وتطورها، المرجع السابق ، ص04.

1-23 صحيفة الزيتونة: جريدة صدرت سنة 1953م لصاحبها مر شاشية.

1-24 جريدة الصباح: من الجرائد التونسية المعروفة، صدرت سنة 1951م لصاحبها الحبيب شيخ[1].

1-25 جحا: صدرت خلال سنة 1909م، وأسسها السيد بن يسى بن الشيخ أحمد (1885-1957م)[2]، وكانت المصادرات تجبرها الى تبديل اسمها فبرزت تحت اسم " جحجوح " ثم "الضحك " ثم عادت للظهور في العشرينات تحت اسم جحا يوم 4 مارس 1920. ويوم 1 مارس 1921م وقع غلقها بأمر من الوزارة بعد تهجمها الى العائلة المالكة ثم عادت للظهور من جديد متخفية تحت اسم " جحجوح " ثم " شهاب جحجوح " وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت من 1949 إلى 1950م تحت اسم " أصحاب جحا "[3]، كما أنها تعتبر جريدة فكاهية هزلية انتقادية يتعدى محتواها أربع صفحات، ولكن توزع في تونس والجزائر وليبيا. مهمتنا تتمثل في مقاومة البدع والدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة والإقبال الى طلب العلم ومناهضة كل مظاهر الظلم والفساد، متعاطفة مع أفكار حزب عبد العزيز الثعالبي والحزب الشيوعي ومعارضة بشدة لحزب القلاتي. غالب مقالاتها تصدر باللغة الدارجة وخاصة الملزومات التي كان يكتبها أبرز الشعراء الشعبيين في تلك الفترة من أمثال قاسم شقرون وأحمد بن موسى وعبد الرحمان الكافي. واختيار صاحب الجريدة لشخصية جحا الأسطورية الفكاهية والشعبية يفسر بميله للنقد الساخر والمراوغة، فضلا الى ما تتضمنه شخصية جحا من طرائف ومعان ومواقف في الذاكرة الجماعية الشعبية[4].

---

[1] – محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1956م، المرجع السابق، ص193.

[2] – بن يسى بن الشيخ أحمد، ولد بطبربة سنة 1888م، درس بالزيتونة والخلدونية، وعمل في الصحافة وأصدر عدة جرائد وكان مناهضا لسلطة الحماية، توفي سنة 1957م.

[3] – الهادي جلاب، أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات، المرجع السابق، ص106.

[4] – حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية بتونس، نشأتها وتطورها 1906-1964م، المرجع السابق، ص17.

1-26 النديم: صحيفة فكاهية، أصدرها حسين الجزيري سنة 1921م، ولمت قرابة العشرين سنة بلا انقطاع. ومن اختيار صاحبها الزيتوني المنشأ اسم "النديم " تبرز المرجعية السلفية الواضحة لتوجهات الدورية وحنينها لأجواء الثقافة العربية الإسلامية في صور مجدها ولآداب المجالس والبلاطات، أما محتوى الجريدة فيحيلنا إلى تعاطف صاحبها مع قضايا الشعب وإلى نقده اللاذع والمتواصل لكل مظاهر التخلف والفساد والتغرب، وهي تصدر مادة في 4 صفحات وتطبع بالحاضرة بين 1500 و6000 نسخة[1].

1-27 الزهو: صحيفة فكاهية أسسها ثمان الغربي (1870 – 1943م) في أواخر سنة 1921م. تدد صفحاتها يتراوح بين صفحتين وأربعة صفحات، تطبع بالحاضرة بين 1500 و6000 نسخة، ساندت الجريدة سياسة الحزب الدستوري القديم وتعاطفت مع أفكار الثعالبي وهاجمت منافسيه تماما مثل " النديم "، وكانت أركانها موجهة أساسا لتحذير العامة من الانسياق في تيار التمدن الغربي المرجعية، ومقاومة الفساد وانحلال الأخلاق[2].

02- المجلات العلمية الثقافية:

2-1 خير الدين 1906م:

مجلة شهرية إسلامية اجتماعية مصورة، تصدر كل أشهر، وأول عدد لها ظهر يوم 27 مارس 1906م، أما مضمونها فهو أدبي اجتماعي، واتجاهها وطني إسلامي، مديرها محمد الجعايبي. أما أن عدد صفحاتها يتراوح بين ستة عشرة وأربعة وعشرين صفحة، معدل سحبها ستمائة نسخة، وأصدرت سبعة أعداد، آخرها يوم 13 سبتمبر 1906م، والملاحظ أن مجلة " خير الدين "، رسمت لنفسها أهدافا، وتتمثل في خدمة الإسلام والمسلمين والدفاع عن معتقداتهم وهويتهم العربية الإسلامية[3]، ساهمت في تثقيف الجماهير وتوعيتهم من خلال ماتكتبه وتنشره.

---

[1] – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م المرجع السابق، ص340.

[2] – الهادي جلاب، أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات، المرجع السابق، ص107.

[3] – حبيب حسن اللولب ، دور الصحافة العربية في تونس في تفعيل الوعي الوطني (1860-1914م)، المرجع السابق، ص62.

2-2 المعارف 1907م:

جريدة أسبوعية إسلامية، أصدرت أول عدد لها في 10جانفي 1907م، مضمونها إخباري، واتجاهها وطني إسلامي، مديرها محمد الصادق المحمودي[1]، وعدد صفحاتها يتراوح بين ستة عشرة وأربعة وعشرين صفحة، ومعدل سحبها ستمائة نسخة، وأصدرت واحد وثلاثين عدد، وآخره كان في 26 سبتمبر 1907م، والملاحظ أن مجلة المعارف رسمت لنفسها هدفا يتمثل في خدمة الإسلام واللغة العربية، وفي الآن ذاته سعت إلى تثقيف الشعب التونسي وتطوير معارفه وتنمية زاده اللغوي من لغة الضاد، وتمكينه من الاطلاع على الآداب العربية الإسلامية، وفي الحقيقية فإنها ساهمت مساهمة فعالة في تثقيف وتوعية الجماهير وتحسيسهم بقضيتهم الوطنية[2].

2-3 المدرسة 1911م:

مجلة شهرية فنية، أصدرت أول عدد لها في جانفي 1911م، مضمونها تعليمي واتجاهها جمعيتي علمي وتعليمي، مديرها عبد الرزاق غطاس، وعدد صفحاتها ستة عشرة صفحة، ومعدل سحبها ستمائة نسخة، وما يمكن ملاحظته على مجلة المدرسة بأنها ذات توجهات علمية فنية، رفعت شعار تنوير النفوس عن طريق علوم العصر. ولهذا الغرض نشرت مقالات ودراسات تهم التعليم ومباحثه كالتاريخ والجغرافيا والعلوم، وفي الآن نفسه تقدم الدروس النموذجية لأساتذة خلدونية وترجمات للدروس العلمية المكتوبة بالفرنسية، وكذلك تتحدث عن الأعمال التي تقدمها الجمعيات العلمية. كما بأنها رسمت لنفسها هدفا يتمثل في مساعدة عدة طلبة جامع الزيتوني على تقبل وهضم علوم العصر، ومما يجدر ملاحظته أنها ساهمت في نشر الوعي وتوعية الجماهير[3].

---

[1] – محمد الصادق المحمودي: ولد سنة 1880م بتونس، درس بالكتاب والصادقية وتفرغ للعمل الصحفي.

[2] – حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية بتونس، نشأتها وتطورها 1906-1964م، المرجع السابق، ص19.

[3] – اللولب حبيب حسن، دور الصحافة العربية في تونس في تفعيل الوعي الوطني (1860-1914م)، المرجع السابق، ص63.

2-4 الرزنامة التونسية:

مجلة سنوية طابعها تقويمي، مضمونها تاريخي فلكي سياسي إخباري تجاري، أصدرت أول عدد لها سنة 1901م، مديرها محمد بن الخوجا[1]، أما عدد صفحاتها بين مائة ومائة وخمسين صفحة، وأصدرت سبعة عشر عددا، وآخرها كان سنة 1917م، وما يمكن ملاحظته في مجلة الرزنامة التونسية بأنها تهتم بالعلوم التاريخية والفلكية والسياسية، وفي الآن ذاته تنشر المباحث الأدبية وتقدم قائمة ببيبلوغرافية تخص أهم المنشورات التونسية، وكذلك كانت تبدي ملاحظات حول مشاكل النشر والتوزيع[2].

2-5 مجلة المباحث:

ظهرت يوم الاثنين 10 أفريل (نيسان) 1944م التي كان قد أنشأها محمد عبد الخالق البشروش سنة 1938م، ولكنها توقفت بعد العدد الثاني، وهي مجلة أدبية وثقافية راقية، تنصب اهتمامها الأكبر على نشر البحوث، كما نشرت إلى جانب ذلك الشعر والقصة وغير ذلك من المواضيع المختلفة، وبعد وفاة مؤسسها محمد البشروش في نوفمبر (تشرين الثاني) 1944م واصلت المباحث طريقها بفضل ما كانت تتلقاه من دعم الكتّاب الملتفين حولها، وركزت في العهد ما بعد البشروش على الشخصية التونسية وعلى موضوع الثقافة ومعناها. كما كانت المباحث في هذه الفترة من تاريخ تونس التي قلت فيها المجلات الثقافية تمثل ملجأ الأدباء والمثقفين الذي وجدوا فيه المنبر المنقذ من الصمت القاتل[3].

---

[1] – محمد بن الخوجا: ولد بتونس في 25 فيفري 1867م، وهو من أصل تركي تولى تعليمه بالصادقية، واشتغل مترجما ثم محاميا وهو من مؤسسي الخلدونية، وساهم بكتاباته في العديد من الجرائد والمجلات التونسية سنة 1942.

[2] – الصادق الزمولي، أعلام تونسيون، المصدر السابق، ص 235-236.

[3] – مصطفى فاسي، البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال، المرجع السابق، ص69.

2-6 ملحق جريدة النهضة:

ظهر في جانفي (كانون الثاني) 1944م، وهو امل جليل قد يضاهي في بعض جوانبه صدور المباحث[1].

2-7 مجلة الندوة:

ظهرت سنة 1953م، وهي مجلة ثقافية جادة، بعثت – كما يقول الجابري – جدة الحياة في الأقلام اليائسة، وقد نشرت هذه المجلة قصصا لمحمد المرزوقي، وتوفيق بوغدير، وابد الرزاق كرباكة وغيرهم.

2-8 مجلة الفكر:

مجلة ظهرت قبل استقلال تونس، وهي التي ضمت في أعدادها الأولى مجموعة من القصص التي نشرت قبيل استقلال تونس.

فكل هذه الجرائد والمجلات ابتداء من العالم الأدبي سنة 1930م إلى مجلة الفكر سنة 1955م كان لها الدور الكبير والإسهام الهام في تبني فن القصة في تونس، وتطويره كل حسب إمكانياتها، ومحرريها وكتّابها خدمة للقضية التونسية[2].

03- دور المهاجرين في النضال الثقافي:

*بدأت هجرة التونسيين للتعريف بقضاياهم الوطنية منذ الاحتلال، ولكنهم لم يقطعوا الصلة البتة بوطنهم، فهاجر الشيخ محمد بيرم الخامس إلى مصر واصل نضاله. وهاجر الشيخ محمد السنوسي إلى مصر واد ليناضل داخل تونس بعد أن التقى مع جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ بيرم الخامس والأمير عبد القادر الجزائري الى ضرورة النضال. كذلك هاجر اللواء العربي زروق وظل متجول بين القاهرة والقسطنطينية والحجاز. وهاجر الي باش

[1] – محمد الصالح الجابري، الشعر التونسي المعاصر، المرجع السابق، ج2، ص 358.

[2] – محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1956م، المرجع السابق، ص193.

حانبه أحد قادة تونس الفتاة سنة 1912م إلى تركيا واصل نضاله ضد الاستعمار الفرنسي في تونس والجزائر وضد الاستعمار الفاشي في ليبيا، وتوفي سنة 1919م بتركيا مناضلا[1].

وهاجر محمد باش حانبه الذي التجأ إلى سويسرا حيث أسس بها مجلة المغرب باللغة الفرنسية ومجلة جزائرية تونسية للتعريف بقضايا الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي حيث كان يتم توزيعها في كافة أنحاء أوروبا. وقد انتقل بعد ذلك إلى ألمانيا حيث واصل عمله النضالي ضد الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي حيث كان يتم توزيعها في كافة أنحاء ألمانيا[2].

وهاجر عبد العزيز الثعالبي سنة 1923م، وقد عاش متنقلا بين مصر وفلسطين والحجاز واليمن للإيصال بالحركات العربية لتوحيد نضال العرب ضد الاستعمار في كافة أنحاء الوطن العربي. وعاد اشتداد الكفاح سنة 1937م[3] عاد إلى تونس حيث حاول الجمع بين العناصر القديمة والجديدة في الحزب الدستوري، ولكنه لم ينجح في التوفيق بينهما، واستمر يناضل إلى أن توفي سنة 1944م[4].

وهاجر الشيخ صالح الشريف والشيخ إسماعيل الصفائحي والشيخ المكي بن عزوز الذي هاجر إلى أندونيسيا والشيخ الخضر الحسين. وقد عاش هؤلاء متنقلين بين الشرق العربي وألمانيا، ومنهم من توفي في تركيا ومنهم من تولى مشيخة الجامع الأزهر وهو الشيخ الخضر الحسين الذي أسس لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا بالقاهرة وتوفي هناك. وكان شعار هؤلاء المناضلين: « إما النصر وإما الموت »[5]، وقد تعالت أصواتهم جريئة تهز آفاق المغرب العربي كله، ولم تخمد ثورتهم بنادق المستعمرين الفرنسيين، فقد عاهدوا الوطن على الموت شعبا وقيادة ما دام في أرضهم موطئ قدم للمستعمر... فلم يكن إبعاد أكثر قادة النضال في المغرب العربي

[1] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قوية، 1830–1956م، المرجع السابق ،ص209.

[2] – استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، أعمال الندوة الدولية الثالثة عشر، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، عدد13، ص12.

[3] يوسف مناصرية،الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 م،دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس 2002 م،ص 23.

[4] – عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص15.

[5] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قوية، 1830–1956م، المرجع السابق، ص210.

خارج البلاد لينال من عزيمتهم المصممة أو يضعف من نفوسهم المؤمنة الوطنية، فسرعان ما انطلقوا يعملون لقضيتهم ويوجهون سير الكفاح الشعبي من الخارج، فانصرفوا يكملون ملحمة النضال الطويلة، وكثفوا اتصالاتهم بالمغرب العربي في أوروبا، فكان من نتائج عملهم العديد من مظاهر النضال الثقافي المشترك.

3-1 جمعية طلبة شمال إفريقيا 1927م:

تأسست في باريس عام 1927م على يد مجموعة من الطلبة المغاربة، وضمت في تكوينها جميع الجمعيات الطلابية في بلدان المغرب العربي[1]، والتي راحت تصدر النشرات وتعقد الاجتماعات وتقوم باتصالات واسعة لتطلع الرأي العام على قساوة الاستعمار الفرنسي، وتبث الوعي وروح الثورة بين كافة صفوف شعوب المغرب العربي والتي من بينها التونسيين وقضيتهم العادلة[2].

3-2 نجم شمال إفريقيا (1926-1937م):

في 20 مارس 1926م، تقرر إنشاء حزب يضم قادة المغرب العربي الذين يناضلون ضد الامبريالية والاستعمار، وانطلاقا من هذه الفكرة تأسس حزب نجم شمال أفريقيا بصفة رسمية يوم 15 جوان 1926م بباريس[3]، ومن الناحية النظرية كان رئيس الحزب هو الشاذلي خير الله، ولكن من الناحية العملية كان الحاج علي عبد القادر الجزائري[4] هو الرئيس الحقيقي

---

[1] – عبدالله مقلاتي، العلاقات الجزائرية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، دار السبيل للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص26.

[2] –الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 210.

[3] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م، ج1، المرجع السابق، ، ص415.

4 – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ، ج3، د ط4 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992 م، ص118.

للحزب، ومصالي الحاج[1] الأمين العام، وشبيلة الجيلالي أمين المال، وعندما قامت فرنسا بطرد الشاذلي خير الله من فرنسا يوم 27 ديسمبر 1927 م أصبحت قيادة الحزب جزائرية[2].

وقد أكد السيد بلغول أن نجمة الشمال الإفريقي لم تكن صدفة، وإنما اختيارا وامتدادا لمجد الجد الأكبر (الأمير عبد القادر) لتوحيد شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى السويس، فقد كان الأمير محل تمجيد وثناء من طرف أعضاء النجم، ويعتبرونه رمزا من رموز المقاومة المغاربية ضد الاستعمار[3].

ويذكر توفيق المدني في مذكراته أنه أثناء لقائه بباريس انضم في الوفد الثالث للحزب الدستوري في باريس، أن السيدين عبد القادر حاج علي وأحمد مصالي قد اتصلا به في ديسمبر 1925 م، وتحدثا معه عن عزمهما الإعلان عن حركة سياسية استقلالية وطنية تحت اسم " نجم شمال أفريقيا " وطلبا منه تجديد مواقفه مع وفد الحزب الدستوري، غير أن أعضاء الوفد رفضوا العمل مع النجم وانتقدوا منهم أنه حركة شيوعية.

لقد عملت حركة النجمة وفق إطار مغاربي، لهذا نجدها تقوم بتوزيع عدة منشورات في تونس باسم " اللجنة المركزية لتحرير شمال أفريقيا " وذلك بعد تأسيسها مباشرة، ودعت المنشورات الشعب التونسي لتوحيد القوى ضد العدو المشترك، ونادت بسقوط الاستعمار الفرنسي وباستقلال شمال أفريقيا...الخ[4].

---

1 – مصالي الحاج: ولد بتلمسان يوم 16 ماي 1896م في تلمسان جند في الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وبعد ح ع 1، اختلط أثناء تواجده بباريس بالتيارات السياسية، وخاصة اليسارية، يعتبر أبو الحركة الوطنية الجزائرية، فهو مؤسس أول حزب سياسي، وهو نجم شمال إفريقيا، أودع السجن وبعد معاناة كبيرة أطلق سراحه سنة 1946م، توفي في فرنسا 1974م.

2 – محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي (1926–1937م)، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص40.

3 – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص120.

4 – محمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، 1993م، ص272.

3-3 تأسيس إذاعة إفريقيا:

بنزول الألمان والطليان في تونس توسط الملك محمد المنصف لديهم يوم ذاك للإفراج عن المعتقلين فتم عام 1943م الإفراج عن المعتقلين الذين انتقلوا أثناء الحرب، وقد قرر بعض قادة الحركة الوطنية بعد خروجهم من المعتقلات ومغادرة تونس إلى الخارج الاستمرار في النضال وتنظيم كل القوى التي يمكن أن تساهم في مقاومة الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي. وكان من بين هؤلاء وعلى رأسهم الدكتور الحبيب ثامر قائد الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية والأستاذ يوسف الرويسي أحد قادة الحركة الوطنية. والدكتور حافظ إبراهيم راجح أحد قادة الحزب الحر الدستوري القديم وبن المناضل المعروف الشيخ راجح إبراهيم أحد رفاق عبد العزيز الثعالبي في الكفاح. والرشيد إدريس أحد المناضلين التونسيين، والبشير المهدي وغيرهم كثير، والمرحوم الحبيب بوقطفة أحد قادة الحركة الوطنية الذي توفي على ظهر باخرة كانت تحمل الجرحى والمدنيين إلى إيطاليا تعرضت إلى القذف فأصيب بشظية فصلت رأسه عن جسده، وكانت إيطاليا أول بلد توجهوا إليه. وهناك قابلوا العديد من إخوانهم مناضلي المغرب العربي فاجتمعوا لوضع خطة للعمل على أساس منظم ومدروس ولم يمض وقت طويل حتى بدؤوا يعملون... فأنشئوا إذاعة سرية سموها "إذاعة إفريقيا الفتاة"[1]، وكانوا يذيعون منها لمدة ساعة يوميا أخبار النضال في المغرب العربي[2].

[1] – إذاعة إفريقيا الفتاه، وهي عبارة عن إذاعة كانوا يذيعون منها لمدة ساعة في اليوم أخبار النضال العربي في المغرب العربي نداءات إلى شباب الأمة العربية، أينما وجدوا في العالم للمساهمة في نضال المغرب العربي، عن أي طريق تساعدهم فيه ظروفهم.

[2] –الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص211.

3-4 مكتب المغرب العربي في برلين:

كما أسسوا في مدينة برلين أول مكتب أطلق عليه اسم مكتب المغرب العربي[1]. وفي شهر تشرين الثاني من عام 1943م انعقد في برلين مؤتمر للشباب العربي. بعثوا فيه القضية العربية وتطوراتها بشكل عام. وقد كان لهذا المؤتمر فرصة نادرة تبادل فيها الشباب العربي آراء حول قضيتهم القومية وتوصلوا أخيرا إلى إيجاد رابط منظم يجمعهم كلهم على صعيد واحد. وقد أسسوا جريدة باللغة العربية اسمها "المغرب العربي" أشرف على إدارتها الأستاذ يوسف الرويسي[2].

لقد ثار مكتب المكتب العربي في برلين لهذه الحالة التي وصل إليها المال العرب المغرب العربي على أيدي المستعمرين الفرنسيين، وأدركوا أن أي سند شعبي قوي يمكن أن يشكل هؤلاء العمال فيها إلا وجهوا الوجهة الوطنية الصحيحة. فسافر أعضاء مكتب المغرب العربي في ألمانيا إلى فرنسا لبحث أوضاعها وإيجاد حلول جذرية لمشكلتهم[3]. وعندما وصل أعضاء مكتب المغرب العربي إلى فرنسا أبدت السفارة الألمانية متعاضا من قدومهم، وعندما طلبوا من السفارة الألمانية تمكنهم من الاتصال بالعمال أجيبت مساعيهم بالرفض، وفي النهاية اعتمدوا على أنفسهم لتذليل الصعوبات لأن العمال العرب المغاربة لم يكونوا إلا بني وطنهم فلا يمكن لأي قوة في الأرض أن تفصل بينهم وبين قيادة الحركة الوطنية.

كان من بين أعضاء قادة الحركة الوطنية التونسية إبان الحرب العالمية الثانية الشهيد الدكتور الحبيب ثامر والأستاذ يوسف الرويسي. وبعد نضال واتصالات أجريت مع العمال بدؤوا يهربون من المصانع، ولم يبق أمام السلطات الألمانية إلا الرضوخ، فاستسلمت لإرادة العمال،

---

[1] – مكتب المغرب العربي بألمانيا: يعود الفضل في تأسيسه إلى مجموعة من المناضلين التونسيين بأوروبا، حدد المغاربة أهداف هذا المكتب في العمل من أجل استقلال دول المغرب العربي في إطار العروبة والإسلام، وكشف جرائم الاستعمار بكل الوسائل المتاحة، فأصدروا جريدة المغرب العربي.

[2] – يوسف الرويسي: (1907-1980م)، أحد مؤسسي الحزب الحر التونسي الجديد، هرب من تونس سنة 1943م، نشط بفرنسا وألمانيا وإسبانيا، حكم عليه بالإعدام غيابا سنة 1946م، كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة1947م.

[3] –الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص213.

ومكنت اللجنة التنظيمية من الاتصال الرسمي الدائم بالعمال، فشرعت في بعث الثقة في نفوس العمال وتقوية روحهم النضالية. فهبوا لمواصلة كفاحهم المرير لتحقيق حريتهم ونيل حقوقهم كاملة، ومن أبرز مطالبهم إلى السلطات الألمانية مشروع يحتوي على ما يلي[1]:

- ترك الحرية للعمال العرب في انتخاب المسؤولين عنهم بعد أن كان المسؤولون الألمان والفرنسيون يفرضون عليهم فرضا، وفتح المجال أمام العمال العرب ليتثقفوا ويتعلموا.
- وترك الحرية لهم لانتخاب هيئات تشرف على تدبير أمورهم والدفاع عن مصالحهم على أن تشكل هذه الهيئات في مجموعها اتحادا عاما لهم.

ووافقت السلطات الألمانية على هذه المطالب. وبدأ العمال العرب في تنفيذ بنودها. فتألفت في كل من ألمانيا وفرنسا هيئات أوكلت لها مسؤولية الإشراف عن مختلف وحدات العمال، وكونت بمجموعها اتحاد العمال. وتكفل مكتب المغرب العربي الذي كان قد تألف في برلين بتنظيم شؤون العمال وتثقيفهم وتهيئتهم للدخول في معترك النضال الشاق الطويل من أجل تحرير المغرب العربي من الاستعمار والإقطاع والتخلف.

أما في إسبانيا[2]، وفي أواخر سنة 1944م نزل الحلفاء نورماندي. فما كان من الدكتور الحبيب ثامر وإخوانه المقيمين في باريس إلا أن سافروا إلى إسبانيا حيث وجدوا هناك أخا لهم في النضال سبقهم إليها، ألا وهو الدكتور حافظ إبراهيم راجح، أحد قادة الحزب الدستوري القديم، وقد قدم لهم الدعم والمساعدة، ووصلوا نضالهم هنالك إلى جانب الدكتور راجح بمدريد. أما الأستاذ يوسف الرويسي وإخوانه فقد تم اعتقالهم في «وغشتاين» بألمانيا، ونقلوا إلى بلجيكا حيث بقوا هناك سنة كاملة ثم أفرج عنهم وسافروا إلى سوريا وفي سنة 1946م انتقل الدكتور ثامر وإخوانه من إسبانيا إلى القاهرة.

---

[1] - الرشيد إدريس، أربعة رسائل من المرحوم يوسف الرويسي، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 21-22، تونس، أفريل، 1981، ص77.

[2] - الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، المرجع السابق، ص21.

3-5 نشاط الوطنيين التونسيين بالقاهرة:

وفي عام 1947م اجتمعت القيادات الوطنية بالمغرب العربي في القاهرة لعقد مؤتمر لتوحيد كفاحها[1] ورسم خطط نضالية واشتراك ممثلين عن حزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور التونسي بشقيه القديم والجديد، وانبثق عن هذا المؤتمر لجنة سميت بلجنة تحرير المغرب العربي، فتحت مكتبا آخر بنفس الاسم في دمشق وترأس هذه اللجنة البطل عبد الكريم الخطابي[2]. وقد واصلت الحركات الوطنية في المغرب العربي عملها الوطني في المشرق وهو التعريف بقضايا المغرب العربي في المشرق، وقد وجدوا كل دعم ومساندة من الجامعة العربية ومن الحركات الوطنية في المشرق العربي وكان يساعد الدكتور ثامر في مكتب تونس بلجنة تحرير المغرب العربي المرحوم المناضل يونس درمونة، الذي انشق عن حزب بورقيبة، وأسس مكتب تونس الحرة للتعريف بقضايا الحرية بالمغرب العربي، والمناضل إبراهيم طوبال[3] الذي كان شغله النشاط في خدمة قضية المغرب العربي في القاهرة. وكانت هنالك عناصر أخرى من بينها رشيد إدريس وحسين التريكي ومولاد بوخريس[4].

---

[1] -الرشيد إدريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م، ص14.

[2] - عبد الكريم الخطابي: ولد بمدينة مليلة 1882م من كان والده قاضيا في مدينة مليلة ومن المعروفين بالعلم والتقوى، نشأ الأمير وترعرع في حجر والده الذي كان أستاذه الأول، درس مبادئ العلوم عليه، وسافر إلى فاس إلى أن نال إجازة من مدارسها، ثم تنقل راجعا إلى مليلة، والتحق بمدارسها الأساسية، كان الأمير وثيق الإيمان، تجلت فيه الروح العربية المجيدة، قاوم الإنسان في منطقة الريف، وضع دستور البلاد مبدأ سلطة الشعب، بعد نزوله في القاهرة سنة 1947م، قام بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، واصل نضاله في سبيل تحرير المغرب توفي سنة 1963م، ينظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص305.

[3] - إبراهيم طوبال: سياسي دبلوماسي من أهالي تونس، ولد في المهدية بها وتعلم بالصادقية، تولى تنظيم الشبيبة الدستورية ومظاهرات معادية لفرنسا، غادر بلاده سنة 1947م إلى طرابلس ثم الى مصر، فانخرط في مكتب المغرب العربي برئاسة عبد الكريم الخطابي، شارك في ثورة الجزائر، وتوفي في جنيف، وأسهم بإصدار العديد من الصحف والمجلات، وألف "البديل الثوري في تونس" وغيرها.

[4] -الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 216.

3-6 رابطة العمل في سبيل قضية المغرب العربي:

أسس طلبة المغرب العربي بالقاهرة رابطة العمل في سبيل قضية المغرب[1] وكان ضمن هؤلاء الطلبة تونسيون وليبيون ومغاربة وجزائريون نخص بالذكر منهم منصور رشيد الكخيا[2] من ليبيا، وحمودة الطاهري وأحمد صوه من تونس، وقد كان لجهود هذه الرابطة أن ربطت الحركة النضالية لطلاب المغرب العربي بالحركة النضالية لطلاب المشرق العربي، وأسس الشيخ الخضر حسين جبهة شعبية سماها جبهة الدفاع عن شمالي إفريقيا. واستمر هذا العمل للحركات المغربية في الخارج متضامنا متعاونا. وفي سنة 1947م سافر محمد المصمودي بصحبة الدكتور شوقي مصطفاوي الجزائري إلى إيطاليا للاتصال بالطلبة العرب هناك، وقد وجدوا تجاوبا من الطلبة الليبيين الذين يزاولون دراستهم بإيطاليا، واجتمعوا هنالك بعبد اللطيف رشيد الكخيا الذي أسس جمعية في روما للتعريف بقضايا المغرب العربي وحقيقة الاستعمار الفرنسي، واستمر هذا العمل في الخارج إلى فترة الاستقلال[3].

وفي نيويورك أسس الصحافي التونسي العابد بوحافة[4] لجنة للدفاع عن شؤون شمالي إفريقيا. ثم السيد الباهي الأدغم الذي أسس مكتبا في نيويورك، والرشيد إدريس أسس مكتبا في جاكرتا بأندونيسيا، والطيب سليم مكتبا في الهند، والدكتور حافظ إبراهيم راجح لجنة للدفاع عن قضايا المغرب العربي بمدريد. وأسس علي الزليطني مكتبا بمدينة طرابلس – ليبيا، وقد كانت هذه المكاتب كلها تعمل وتدأب لتحرير المغرب العربي[5]. ولم يقصر عملها على الدعاية وكسب الأنصار لقضايا المغرب العربي، بل تعداه إلى العمل على تكوين إطارات ذات كفاءة من

---

[1] -الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 216.

[2] – منصور رشيد الكخيا: ولد في بنغازي سنة 1931م، شغل منصب الوزير الخارجية الليبية (1972-1973م)، والسفير الليبي للأمم المتحدة، وكان في وقت لحق أحد رموز المعارضة للزعيم الليبي معمر القذافي وناشط حقوقي.

[3] -الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 216.

[4] -العابد بوحافة:

[5] -الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص217.

خريجي الجامعات والمعاهد العليا، وتدريب المتطوعين على حمل السلاح وجمع السلاح بطرق مختلفة ونقله إلى داخل البلاد.

3-7 الدعم الجزائري للنضال الثقافي بتونس:

*على مستوى الصحف: شهدت تونس في أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م انفجارا صحفيا، وقد ساهم العديد من الجزائريين في هذه الصّحف، فمنهم من ساهم في إصدارها، ومنهم من كانت لهم مقالات في هذه الصحف (كالزهرة، والنهضة، والوزير، وجريدة الحاضرة...)، ومن هؤلاء الجزائريين الذين كان لهم دور في الصحافة التونسية علي بوشوشة[1] (صاحب جريدة الحاضرة 1885م)، وقد استطاع علي بوشوشة[2] أن يجمع حوله مجموعة من العلماء والمثقفين أمثال البشير صفر، محمد السنوسي وسالم بوحاجب، وقد أفادت هذه الجريدة في تكوين الرأي العام التونسي بما كانت تورده من أخبار داخلية وخارجية وانتقادات لبعض تجاوزات الإدارة الاستعمارية، ورغم كل المضايقات التي فرضت عليه فإن بوشوشة استمر في إدارة هذه الجريدة وتمكن من فرض وجوده، على الرغم من تهالك قواه وتدهور حالته الصحية إلا أنه واصل جهوده في سبيل قضية الشعب التونسي فكريا

[1] – علي بوشوشة (1859-1917م)، المولود بمدينة بنزرت، والذي ينحدر من عائلة فلاحية، واصل تعلمه بجامع الزيتونة، ثم بالصادقية ليتزود من البرامج الثقافية التي سعى خير الدين باشا لإدخالها ضمن مواد الدراسة في ذلك العهد، ثم بأوروبا (بريطانيا) ليستكمل هناك بقية معارفه وذلك من 1879م إلى 1881م الرائد الرسمي التونسي،ي وجريدة «الحاضرة» الحاضن الأول لأفكارها، استمر نشاط علي بوشوشة في ميادين أخرى، من ذلك الميدان الاجتماعي، حيث ساهم مساهمة فعالة في نشاط «الخلدونية» إثر تأسيسها عام 1896م، كما كان يتردد على الكثير من النوادي الفكرية والسياسية التي تأسست بتونس وعلى الأخص «نادي الأميرة نازلي»، الذي كانت تؤمه نخبة الرجال التونسي العامل في حركة الإصلاح، مثل سالم بوحاجب ومحمد التركي والبشير صفر ومحمد باش حامبة وغيرهم... وفي هذا النادي تعرف علي بوشوشة على الكثير من المستشرقين ورجال الفكر العرب، لعلّ أهمهم مفتي مصر الأول آنذاك الشيخ محمد عبده، وبعد عودته إلى تونس رحل إلى الشرق صحبة زميله عبد الجليل الزاوش، اغتنم الفرصة خلالها وزار المكتبات الإسلامية العمومية والخاصة، واطلع على الكثير من المتاحف والمعالم الثقافية هناك، إثر هذه العودة بدأ يحس بالألم وعلى الرغم من نصائح الأطباء والأصدقاء لكي يحد من نشاطه، فإنه واصل جهوده في سبيل قضايا وطنه، إلى أن أنهكه المرض فتوفي سنة 1917م.

[2] – أحمد خالد، الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، المرجع السابق، ص13.

وسياسيا[1]، ومن الوجوه الجزائرية في مجال الإعلام في تونس الخضر الحسين، الذي يعتبر صحفيا وعالما ومناضلا من رواد الصحافة التونسية أسس مجلة السعادة 1904م، وهو في جامع الزيتونة وهي أول مجلة صدرت وتأسست في تونس، وجعلها نصف شهرية وذات اتجاهين ديني وأدبي، كما اعتبرت مصدرا هاما لتاريخ الصحافة العربية وطليعة رائدة للإصلاح وبذوره الأولى بتونس رغم صدور أعداد قليلة منها، وكان عمر بن قدور[2] (1886-1932م) الذي تخرج من جامع الزيتونة وعرف بنشاطه الصحافي حيث أخذ يتعامل مبكرا مع جريدة الحاضرة التونسية.

- وفي سنة 1909 م صدر ملحق لجريدة التونسي الفرنسية، وكان يشرف على تحرير الملحق عبد العزيز الثعالبي، وهدف هذه الجريدة هو المطالبة بالمساواة بين الفرنسيين والتونسيين، وقد كانت للثعالبي العديد من المقالات التي تأجج حماسة الطلبة الزيتونيين حتى صار تلاميذ الزيتونة جندا للشيخ الثعالبي.

- وكان اليوم الأول من فيفري 1912م يوما بارزا في تاريخ الصحافة التونسية وفي هذا يتحدث أحمد توفيق المدني فيقول: "... كان يوم تحرير الصحافة التونسية من عقالها الذي كبل رقابها منذ سنة 1912م، وازدانت الآفاق الفكرية والسياسية بعودة الصحف... والمجلات الراقية... وآمنت بأن ساعة العمل قد دقت، ولا أزال بالزيتونة أوالي الدراسة التي قدمت إلى الصحف التونسية، وخاصة الصواب والوزير بمقالات متوالية اخترت لها اسم المنصور... وكان يوما مشهودا بتونس يوم بروز المشير وهو يحمل ترجمتي لفصل ممتع، يعري السياسة الفرنسية بتونس ويشنع بوسائلها... وكان أول مرة ينشر فيها مقال عن السياسة التونسية بمثل تلك اللهجة وهو سبب لإغلاق المشير..."[3]

---

[1] - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 504.

[2] - عمر بن قدور: من أصل جزائري، وأسرته ترجع إلى بيت العمري بطولقة، انتقل مع والده لتونس، ودخل الزيتونة ونال بها شهادة التطوع، ينظر: خير الدين شترة، ج3، ص34.

[3] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المرجع السابق، ج01، ص209.

- ومن الوجوه الجزائرية الأخرى في الصحافة التونسية الشيخ السعيد الزاهري، فقد كان ممن دفعتهم الحمية لمعاضدة الصحافة التونسية الخارجة من محنتها 1920 م، فشهدت غير واحدة من الصحف مثل النهضة، الزهرة، والوزير مساهمته الصحفية الجادة[1].

ومن الجرائد التي نالت رواجا في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي بتونس جريدة العدلية للهادي بن أحمد باس، وقد شاركه في تحريرها الشيخ الثعالبي بمقالته المشهورة، وكانت أول جريدة وطنية تصدر بالفرنسية هي " بريد تونس " لعبد العزيز الثعالبي.

فتاريخ الصحافة التونسية حافل وزاخر بتراث أدبي وفكري، وبصفحات مشرقة ومشرفة من العمل الوطني الذي ساهم فيه المهاجرون والجزائريون مع أشقائهم التونسيين، وكان له التأثير المباشر في وحدة الحركة الوطنية المغربية[2].

*في مجال السياسية: لقد كان نشاط الطلبة يتجاوز في غالب الأحيان حدود الجامع الأعظم ليكتسح الساحة السياسية العامة، فالأكيد أنهم تأثروا بما يجري في تونس من أحداث سياسية، يقول الشيخ خير الدين في مذكراته: " لم تقتصر فوائد إقامتي بتونس على تحصيل العلم والثقافة العربية الإسلامية فقط، بل أطلعتني على مظاهر النهضة الوطنية، فقد شهد العام الأول من إقامتي بتونس انبعاث حركات سياسية قوية... فقامت مظاهرتان شارك فيها الشعب التونسي مشاركة لم يسبق لها مثيل، خرجت الأولى من جامع الزيتونة يقودها الشيخ النفير والشيخ ثمان بن الخوجة، وقد شاركت في هذه المظاهرة مع بعض الطلاب الجزائريين[3].

ومن الطلبة الجزائريين الذين تخرجوا من جامع الزيتونة وكان لهم أدوار سياسية الشيخ عبد العزيز الثعالبي، فيذكر محمد العربي دبوز عن أوضاع تونس أثناء الحرب العالمية الأولى فيقول: " كانت تونس أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها تخوض أعنف معاركها ضد

---

[1] - الخطاب الإصلاحي عند الشيخ السعيد الزاهري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف الجمعي خمري، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م، ص08.

[2] - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900-1956م، المرجع السابق، ج02، ص 1308-1309.

[3] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج01، ص211.

ستعمار الفرنسي... وكان قائدها العظيم هو العلامة الجليل العبقري خريج جامع الزيتونة الشيخ عبد العزيز الثعالبي... فكان يلقي محاضراته وخطبه الحماسية في النوادي، فصار تلاميذ الثعالبي جنده يقيمون المظاهرات وينصرونه في جهاده السياسي وأغلبهم زيتونيون جزائريون أمثال إبراهيم أبو اليقضان "[1]، ويتحدث أحمد توفيق المدني في مذكراته عن إبراهيم أبو اليقضان[2] فيقول: "...أنه مقارع مجاهد، ومقاوم معاند صرع ستعمار ولم يصرعه ستعمار، ضرب بسهم في الجهاد الصحفي والفكري ما لم يبلغ أحد في الجزائر مثله"[3].

ويعد أحمد توفيق المدني من أبرز الشخصيات السياسية في تونس كما تعرف أحمد توفيق المدني بصديقين جزائريين (الصادق الرزقي، حسين الجزيري) وتشكلت لديه توجهات سياسية، منذ انتقاله إلى جامع الزيتونة 1909م، فقد كان في أوقات فراغه يلتف حول التلاميذ ويحفز هممهم، ومن بين الذين يطوفون بالأسواق والمقاهي وينادي "نموت ولا نسلم بلادنا"[4].

[1] – محمد الي دبوز، من أعلام الإصلاح في الجزائر 1921–1975م، دار السبل، الجزائر، 2009، ص 59.

[2] – إبراهيم أبو اليقضان: صحفي جزائري، شاعر، مؤرخ، مارس اجتماعي، عالم بالشريعة الإسلامية، وائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، انضم إلى الحزب الحر الدستوري التونسي في عام 1920 وبعد ست سنين أصدر جريدة وادي ميزاب في عام 1926 ، وقد أصدر ثماني جرائد ما بين الأعوام 1926 و1938 وهي: وادي ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان.

[3] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص 219.

[4] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونه، 1900–1956م، ج01، المرجع السابق ، ص 144–145.

الخاتمـــــة

وفي الأخير ومن خلال دراستنا وتجميعنا لمعلومات هذه المذكرة المعنونة بتاريخ دور الحركة الثقافية في تونس ودورها في عملية التحرير الوطني (1900-1956م)، حققنا جملة من النتائج المتعددة نذكر منها:

*- إن الدور الكبير الذي لعبه الجانب الثقافي التونسي مع مطلع القرن العشرين ميلادي في مواجهة الحركة الاستعمارية كان لغرض تحقيق تحرير تونس.

*- لقد كان ظهور النضال الثقافي للحركة الوطنية التونسية عبر حركة الشباب التونسي، التي كانت ذات صبغة ثقافية عربية من 1908م إلى غاية 1934م لتأتي بعد جماعة الثقافة الغربية، وكان هؤلاء هم من حمل لواء النضال الثقافي بكل وسائله المختلفة.

*- لقد كان لجامع الزيتونة الأعظم عبر الفترات الزمنية المختلفة من تاريخ تونس، وبرز بشكل أكبر خلال فترة الحماية الفرنسية، حيث كان الواجهة الأمامية لكل النضالات والتضحيات ضد الاستعمار، ونشر كل الأفكار ضد الاستعمار من خلال حركة تقديم الطالب الزيتوني التي شملت جميع الأطياف الثقافية والمؤسسات التعليمية (المحاضرات، والاجتماعات، والآداب بمختلف فنونها، والدخول في التنظيمات الحياتية).

*- لقد كان للتيارات الصوفية في تونس دور كبير في الوقوف ضد الثقافة الفرنسية والغربية من خلال إشراف هذه الحركات على نشر الثقافة العربية والإسلام والتربية الروحية، وإثبات نفسها كمؤسسات ثقافية رغم المواقف التي يشير لها أغلب المؤرخين بأنها متواطئة مع الاستعمار في مرحلة المقاومات الشعبية، ولكن لم يمنع هذه الأخيرة من دورها الفاعل كمؤسسات لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية في جو استعماري يسعى لتكريس الفرنسية والمسيحية...الخ

*- إن المؤسسات التعليمية بتونس كان لها الدور الفعال في تكوين العديد من إطارات ونخب تونسية كالثعالبي، ومحمد علي باش حامبة، والبشير صفر، والطاهر حداد، والحبيب بورقيبة، وأبو

القاسم الشابي، وقد قامت بدور فاعل في مواجهة الحماية الفرنسية من خلال الاجتماعات و المحاضرات والخطابات...

*- لقد كان لنضالات النخب التونسية الدور البارز في تاريخ تونس الثقافي التحرري من خلال الكتابات والنشر والصحافة، ككتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي، وهذه تونس للحبيب ثامر، وأغاني الحياة للشابي...الخ

*- لقد ساهمت الحركة الأدبية والفكرية بتونس بدور كبير جدا في تفعيل العمل الوطني التحرري، حيث لعب الشعر الشعبي التونسي في تفعيل الحماس الوطني، ورفع الهمم من خلال ظهور العديد من الشعراء من أمثال الشابي، المرزوقي...الخ كذلك عرف تطور النثر الأدبي وفق الصحافة والخطابة في زيادة نشر القضية التونسية عبر نطاق واسع حارب السياسة التعسفية الفرنسية وأساليبها، كما كان عاملا لانتشار الثقافة المسرحية والقصصية والتمثيلية في الأوساط التونسية للاستهزاء بالسياسة الاستعمارية الفرنسية وكل سلبياتها.

*- إن النشاط الجمعياتي التونسي عرف انتشارا يكاد يكون منقطع النظير على مستوى البلاد المغاربية، حيث كانت الحركة الفكرية والثقافية عبر الجمعيات نموذجا رائدا لمكافحة الاستعمار، وكان عبر الحركة الأدبية الجمعياتية من خلال عديد النوادي الأدبية وانتشار الكشافة وفروعها العديدة عبر كافة القطر التونسي، الجمعيات والنوادي الرياضية، الجمعيات العلمية والمعرفية، كلها ساهمت تحت غطاء الثقافة والتستر وراءها بممارسة أعمال سياسية باطنية، وخلقت مشاكل عويصة للحماية الفرنسية، مما عرضها في كثرة الأحيان للمضايقات وكل أشكال العنف والاعتقال...

*- لقد ساهمت المجلات والصحف السياسية المتعددة في تونس، منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين تونس في نشر جميع التقارير والانطباعات والانشغالات المختلفة لتيارات الحركة الوطنية التونسية المعبرة على رفض الحماية، وأداة توجيهية للشعب التونسي من قبل قادته ونخبه، حيث كانت عديدة يصعب حصرها لغاية 1956م، وقد تطرقنا لأبرزها.

*- إن الهجرة خارج تونس والتي كانت إما خيارا استراتيجيا من قبل النخب التونسية، أو نتيجة حتمية كانت من قبل سلطات الحماية، كان لها الأثر الكبير في نقل النضال الثقافي التونسي إلى نضال عالمي أكثر منه داخلي، من بينها رفع مطالب الحركة الوطنية التونسية والحركة العمالية عبر منشورات أو كتب، ككتاب عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، ومن خلاله مطالبها.

*- لقد ساعدت ظروف المغرب العربي خلال القرن العشرين ميلادي الذي كان غالبيته في ظل السيطرة الاستعمارية الفرنسية، وخاصة في المهجر حين كان ملتقى لأطياف النخب الثقافية المغاربية في تشكيل تكتلات دفاعية ضد الاستعمار والتي كان على رأسها التونسيون، حيث شكلوا نجم شمال إفريقيا 1926م، جمعية طلاب شمال إفريقيا 1927م، مؤتمر المغرب العربي في برلين، الجامعة العربية، حيث قدمت كلها جانبا كبيرا في القضية التونسية، والسير بها إلى التحرر الذي كان تدريجي.

*- لقد كان للظروف والعوامل المشتركة بين تونس والجزائر دور كبير في خدمة الحركة التونسية وجانبها الثقافي، خاصة الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، حيث ساهموا بدورهم في تفعيل الوعي الوطني ودعم القضية التونسية، وبرز منهم الكثير من رجالات العلم والسياسة في هذا الشأن كأحمد توفيق المدني، وعبد الجليل الزاوش، والصادق الزمرلي...

وخلاصة القول أن الجانب الثقافي لعب دورا بارزا وهاما في حمل مشعل لواء نيل تونس لاستقلالها وتحررها.

الملاحق

الملحق رقم: 01

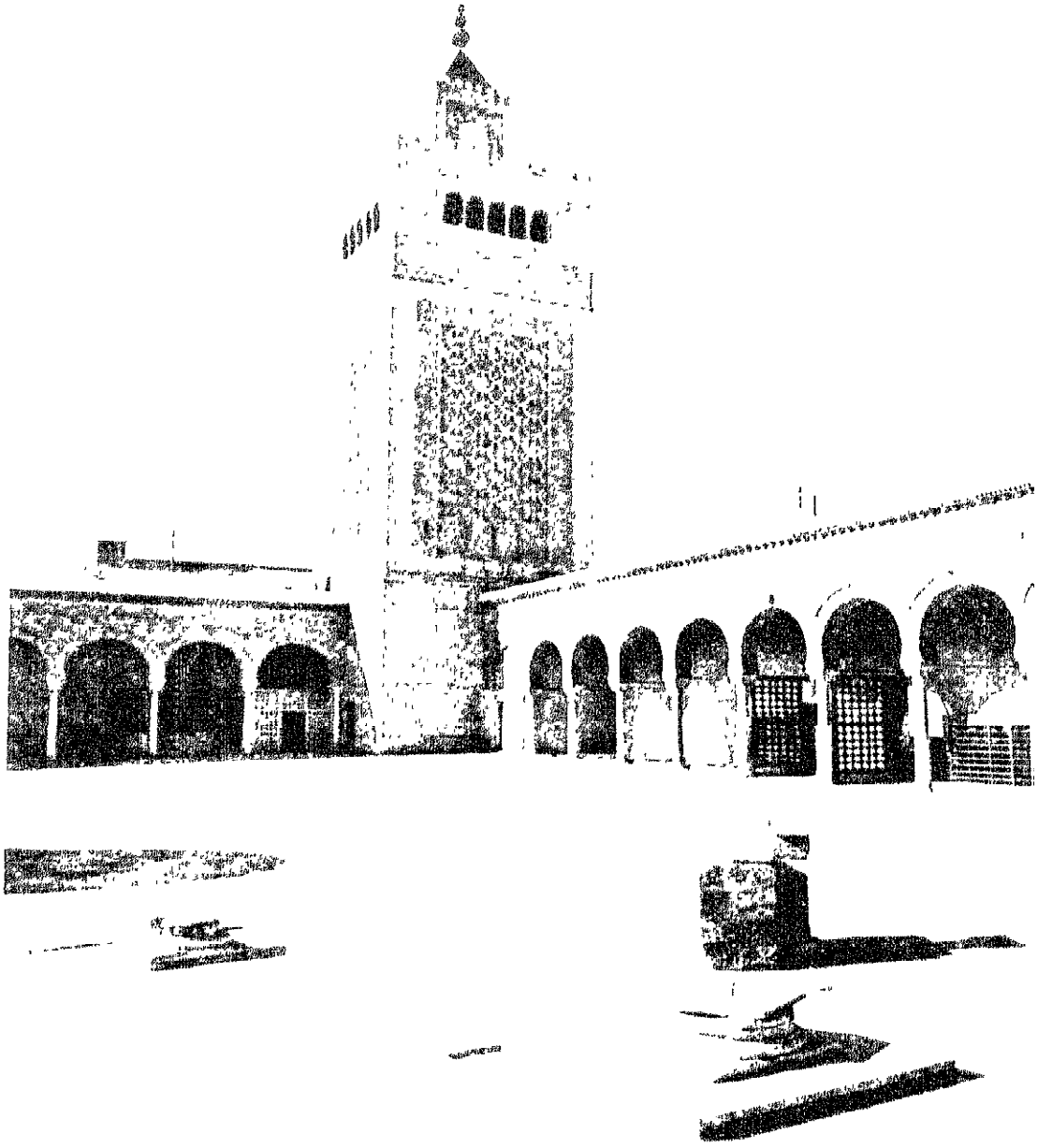

جامع الزيتونة المعمور
(منشورات كاهية)

المصدر: أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ص 337

الملحق رقم: 02

البشير صفر (1856-1917)

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ص: 68

الملحق رقم: 03

المناضل وأحد رواد الحركة الثقافية التونسية – عبد العزيز الثعالبي–

عبد العزيز الثعالبي (1874-1944)

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ص: 75

الملحق رقم: 04

المناضل علي باش حامبة

علي باش حانبه (1876-1918)

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص: 70

الملحق رقم: 05

نسخة من مضمون العدد الأول لجريدة التونسي، بقلم علي باش حامبه

إن جريدة «التونسي» هي أول جريدة فرانساوّية أنشأها التونسيون في الإيالة (...) وسيكون «التونسي» لسان حالهم حتى يحين اليوم الذي تمنحهم فيه الحماية رفع أصواتهم بالدفاع عن حقوقهم أمام مجلس نيابي.
فهذه الجريدة التي نديرها ونحررها ستتكفل لقرائها بالتعريف بأفكارنا وبحسن نوايانا نحو الوطن وساكنيه ولذلك كتبت على نفسها (...) أن تقاوم بأصدق لهجة كل مظلمة واعتداء يحيطان بمواطنينا بدون أن تسعى في إخفاء معايبهم. وستبذل أقصى ما يمكن من الجهد في درس المشاريع التي تهم الأهالي بأدّق طريقة وكذا كلما يعود بالنفع على جميع الأهلين لهذه الديار.
(...) وسنضع في مقدمة مطالبنا مسألة التعليم العام التي يتوقّف عليها حياة أو موت التونسيين إذ يؤلمنا كثيرا أن نرى تسعة أعشار مواطنينا لا يزالون تائهين في فدافد الجهل بعد مضي نحو ربع قرن على الاحتلال الفرنسي وإن إصلاح التعليم بكيفية تلائم حالة الشعب قد أصبح محتّما. وعلى فرنسا الديمقراطية أن تراعي شعائرها وأمياالها الحرة في جعل التعليم الابتدائي مجانا وجبريا في جميع أنحاء المملكة .
كما أننا سنشتغل بعرض مسألة تسهيل أسباب مزاولة العلوم الثانوية على الحكومة الحامية ومطالبتها بتنشيط نخبة التلامذة الذين ظهر اجتهادهم وتأكد تحصيلهم على مزاولة العلوم العالية لتتم لنا بهذه الطريقة تربية رجال أكفاء يمكنهم أن يدركوا الحظ الأوفر في إدارة شؤون بلادهم. على أن ذلك لا يتأتى لهم إلا متى فتحت في وجههم أبواب الإدارات وسمح لهم بالحق في الاستخدام ولذلك يتحتم علينا أن نطلب بأشد لهجة نسخ القرارات الصادرة بشأن حرمان الأهالي من الدخول في الامتحانات التي تهيئهم للمناصب الدوليّة والتي لم تبق لهم سوى بعض الخطط الصغيرة مثل الترجمة والحجابة إذ لا مسوغ لهذا الحرمان الذي أصيب به مواطنونا.
أما ما يتعلق بالحالة الاقتصادية فإننا سنحث الحكومة على الاهتمام بنشر التعليم الصناعي والزراعي بين طبقات العملة الأهليين لأن بلادا مثل بلادنا فتحت من جديد للحركة الاقتصادية يجب أن تكون لأهاليها الرتبة الأولى في إيجاد المصنوعات وغيرها.
ويتأكد البدء في تهيئة اليد العاملة لمباشرة الاشتغال بالمصنوعات العصرية وغيرها عامة كانت أو خاصة.
وإذا وفقت الحكومة إلى ذلك فإنه ينسنى لها انتشال بعض الصنائع اليدوية من الاندثار وذلك بنشر تعليم خاص لمتعاطيها وتنشيطهم بنشاطات رسمية.
وليس ذلك ليثنينا عن التفكير في أحوال الفلاحين من أهل البادية وهم أفقر الطبقات وأشدّها عوزا واحتياجا للمساعدات وأجدر بالرحمة والإسعاف. وسنشرع في ذلك بطلب حذف المجبى وتنظيم وسائل الإسعافات العامة بإحداث مستشفيات وتعيين أطباء معاونين من شبّان الأهالي وتأسيس صناديق احتياطية مع عدم إغفال نشر التعليم بينهم وتعميم العدل فيهم والتماس التساهل في معاملة الإدارات لهم.
ونلتمس من الحكومة أن تسمح لصغار الفلاحين الوطنيين ابتياع الأراضي الدولية على نسبة تعيّنها الإدارة التي لها النظر في ذلك وأن تنشأ لهم مراكز فلاحيّة بازاء المراكز الاستعمارية التي للأوروبيين.
أما مسألة العدلية التونسية فإن أهميتها في نظرنا لا تقل عن المطالب التي مرّ بنا ذكرها لأن العدل يعتبر في كل هيئة اجتماعية من أهم وأعز الأمور فيلزم للقيام بذلك أن تؤسس هيئة عادلة متوفرة الشروط.
لأن العدلية التونسية رغما عن الإصلاحات الجمة التي أجريت فيها ولا يجد مكابر إلى إنكارها سبيلا فإنها لم تزل على حالة غير مرضية ما دام المتقاضون لا يجدون أمامها الكفالات اللازمة للحصول على الحقوق.
ولذلك أخذنا على أنفسنا القيام بطلب إصلاحها وتنظيمها بكيفية مدققة تلائم روح مدنية العصر وجعل قوانين لها مدّونة يرجع إليها الناس في معرفة الحدود والحقوق والواجبات مع التفرقة بين السلطتين الإدارية والحكمية (...)
مقتطفات من افتتاحية العدد الأول من جريدة : « Le Tunisien » (التونسي)، 7 فيفري 1907، بقلم علي باش حانبه (نشرته بالعربية جريدة "التونسي" في 8 نوفمبر 1907).

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص: 71

الملحق رقم: 06

صورة لأعضاء الجمعية الخلدونية

الجمعية الخلدونية سنة 1910

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص: 66

الملحق رقم: 07

أحداث الزلاج

أحداث الزلاج: الجيش الفرنسي يرابط بباب سويقة

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ص78

الملحق رقم: 08

صور لنضالات حركة الشباب التونسي

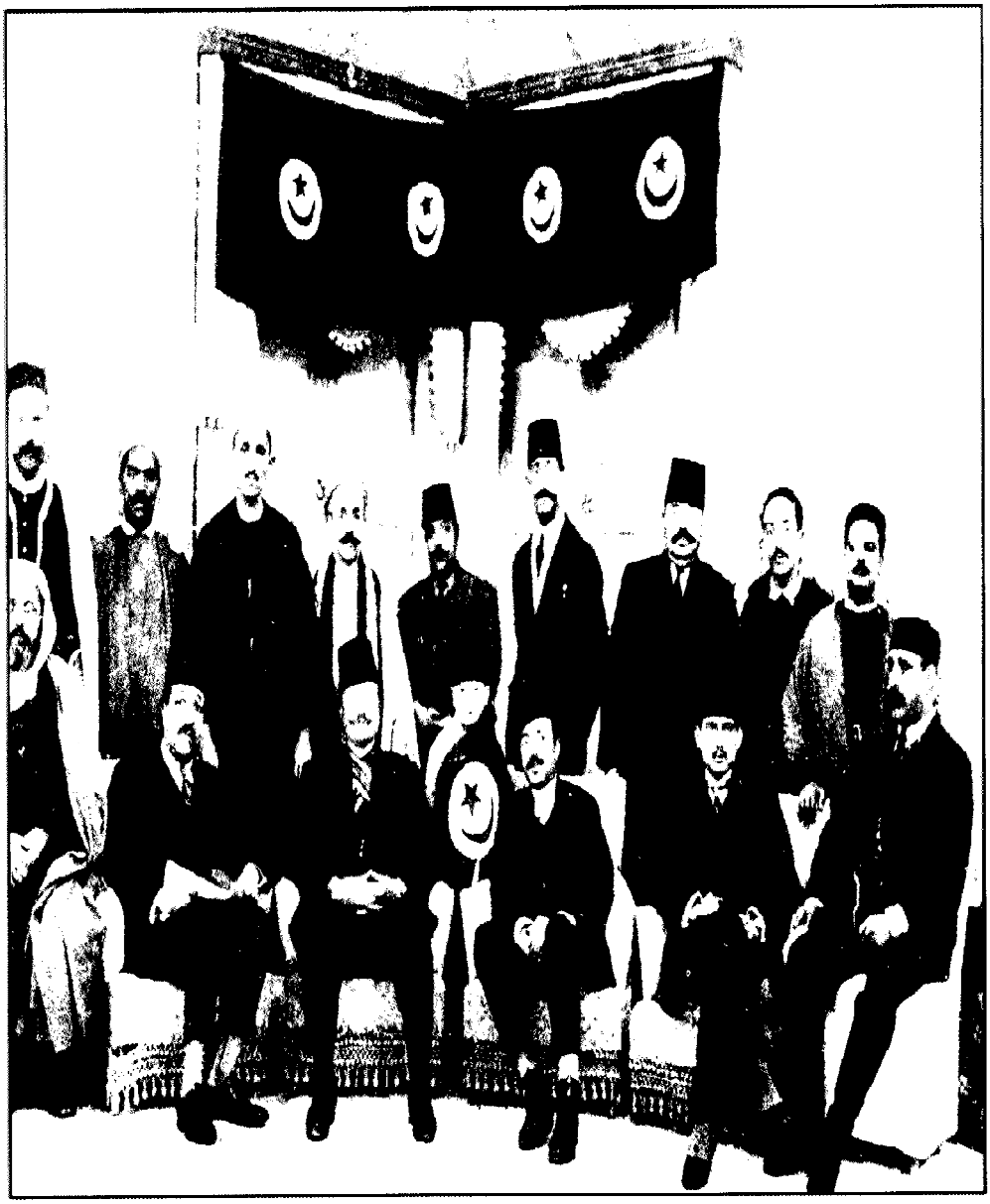

بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس
الجالسون من اليمين إلى اليسار
1ـ الشاذلي خزندار-2- أحمد توفيق المدني -3- الطيب الجميل -4- احمد الصافي- 5ـ صالح فرحات -6- الشيخ صالح بن يحيى.

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ص91

الملحق رقم: 09

المؤتمر الأفخاريستي

اجتماع الوفود المشاركة في المؤتمر الأفخارستي و هي حاملة أزياء مثيرة للشعور الديني للتونسيين

تظاهرات المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج (ماي 1930)

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص:95-96

الملحق رقم: 10

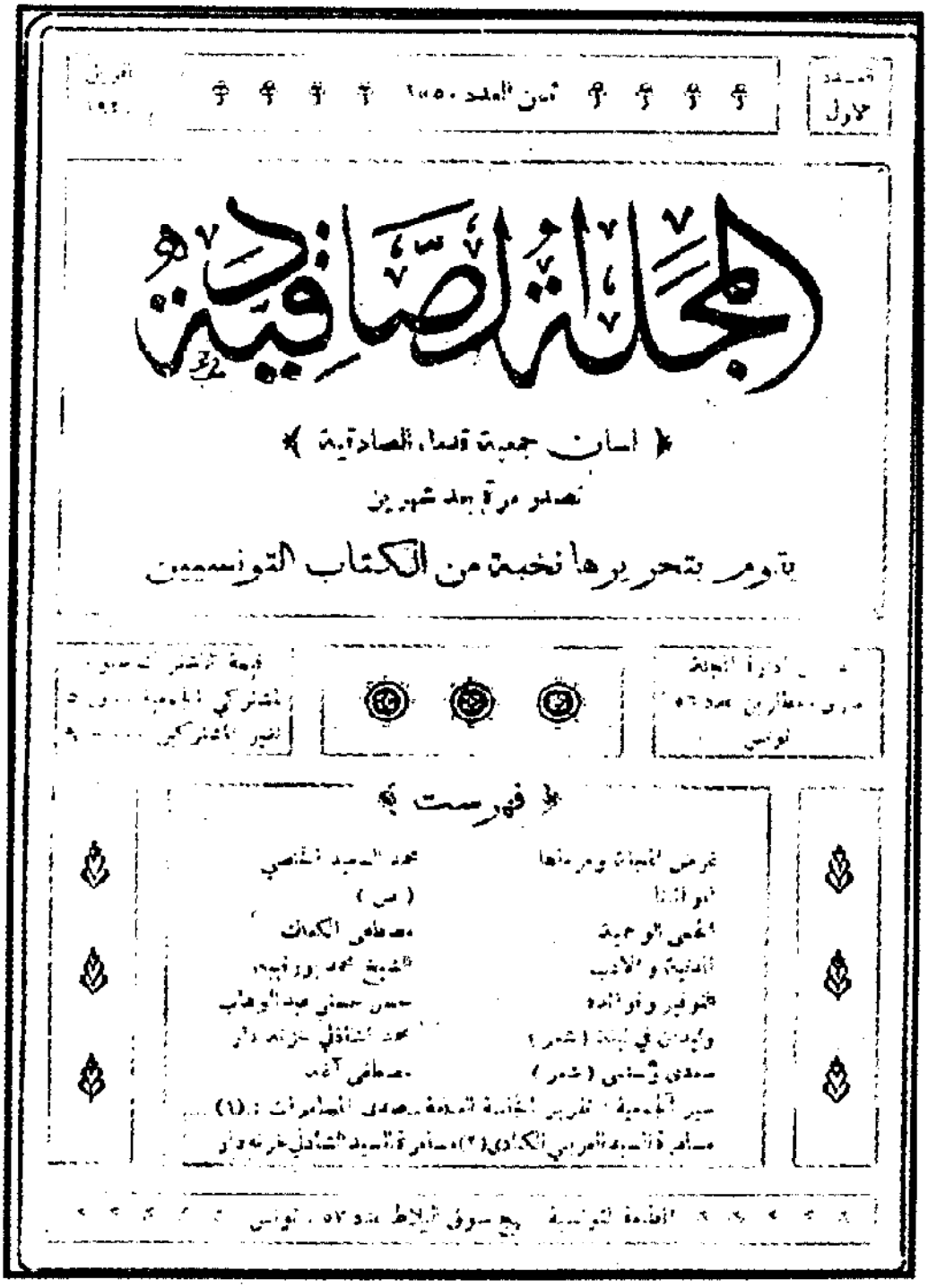

المجلة الصادقية، العدد الأوّل

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص93

الملحق رقم: 11

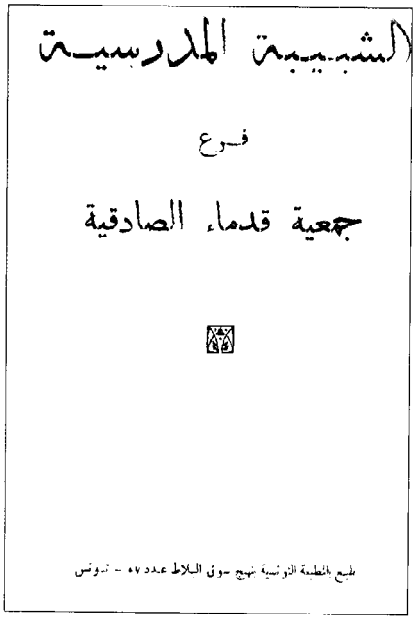
الشبيبة المدرسية

فرع

جمعية قدماء الصادقية

نشريّة الشبيبة المدرسيّة
1932

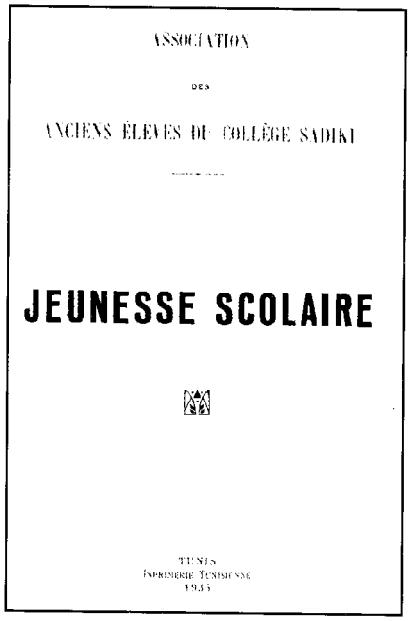
ASSOCIATION

DES

ANCIENS ÉLÈVES DU COLLÈGE SADIKI

JEUNESSE SCOLAIRE

نشريّة "Jeunesse Scolaire"
1933

جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا

نشرة الجمعية

نشريّة جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين
1932-1931

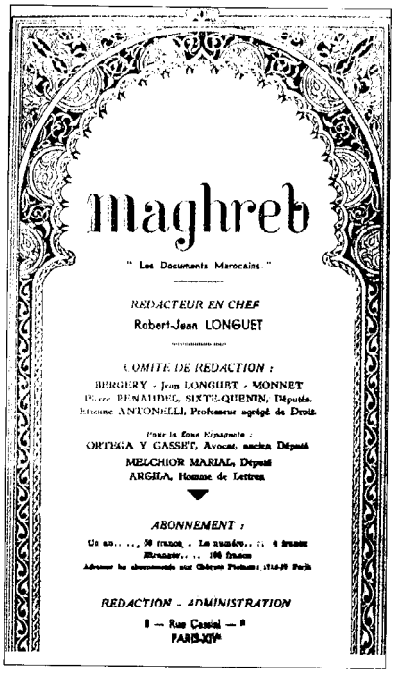
Maghreb

" Les Documents Marocains "

REDACTEUR EN CHEF
Robert-Jean LONGUET

COMITE DE REDACTION :
BERGERY - Jean LONGUET - MONNET
[illegible] BENAMIDEL, SIXTE-QUENIN, Députés.
Etienne ANTONELLI, Professeur agrégé de Droit.

Pour la Zone Espagnole :
ORTEGA Y GASSET, Avocat, ancien Député
MELCHIOR MARIAL, Député
ARGILA, Homme de Lettres

ABONNEMENT :

REDACTION - ADMINISTRATION

PARIS-XIe

نشريّة جمعيّة "المغرب"
1932

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون،الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص98

الملحق رقم: 12

مظاهرات 08 أفريل 1938م

مشهد من مظاهرة 8 أفريل 1938 بنهج المالطيين (المنجي سليم حاليا)

المصدر: خليفة الشاطر وآخرون، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ص111

الملحق رقم: 13

صورة لزعيم الحركة المنصفية: محمد المنصف باشا باي

المنعم المبرور محمد المنصف باشا باي
(1942 ـ 1943)

المصدر: أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ص 570

الملحق رقم: 14

قادة الحركة التونسية الوطنية في مكتب المغرب العربي بالقاهرة

مكتب المغرب العربي بالقاهرة (1947)

المصدر: أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ص 606

الفهرس

فهرس المصادر

01/ بلخوجة الطاهر **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على العصر**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م.

02/ بن عاشور محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب**، ط1، تونس، دار السلام للطباعة والنشر، 2006م.

03/ بن عاشور محمد الفاضل، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ط3، الدار التونسية للنشر 1983م.

04/ ثامر الحبيب، **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.

05/ الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية**، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،، 1990م.

06/ الثعالبي عبد العزيز، **سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية**.

07/ الثعالبي عبد العزيز، **تونس الشهيدة**، ترو تع سامي الجنيدي، ط1، دار القدس 1975م.

08/ جوليان شارل اندري، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تعريب محمد مزال والبشير بن سلامة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985م.

09/ الحداد الطاهر، **العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972م.

10/ الحداد الطاهر، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، المطبعة الفنية، تونس 1930 م.

11/ الزمرلي الصادق، **أعلام تونسيون**، تق تع حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1986 م.

12/ الزمرلي الصادق، **تونس في عهد المنصف باي 1942-1943م بين الرجاء وخيبة الأمل**، تق تع حمادي الساحلي، ط1 تونس 1989م.

13/ الشابي أبو القاسم، **أغاني ديوان شعر أبي القاسم الشابي**، ط1، دار الكتب الشرقية، 1955م.

14/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح**، ج1، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ، 1988 م.

***

فهرس المراجع

15/ إبراهيم رضوان، **التعريف بالأدب التونسي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1977م.

16/ إدريس الرشيد، **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1981م.

17/ بن الخوجة محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

18/ بن حميدة عبد السلام، **الحركة النقابية الوطنية الشغيلة بتونس، 1924– .1956 م** ، ج2، تر جماعية، دار محمد علي الحامي للنشر.

19/ بن عيسى الطيب، **المعاهد الإسلامية**، الجامعة الزيتونية، مج 6 ،ج2، جويلية أوت 1945م.

20/ بو الخضرة مسعودة مسعود، **عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي**، ط1،المكتبة العصرية، لبنان، 1995م.

21/ بوذينة محمد، **مشاهير التونسيين**، ط2، دار سيزار للنشر، بيروت، 1992م.

22/ التليلي العجيلي، **أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين**، تونس 1989م.

23/ التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، 1881–1939م**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس 1992 م.

24/ الجابري محمد الصالح، **الشعر التونسي المعاصر**، ،الدار العربية للكتاب، 1989م.

25/ الجابري محمد الصالح، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900-1962م)**- الجزائر، العربية للكتاب، 1983 م.

26/ جلاب الهادي، **أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات**، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2001م.

27/ الجندي أنور، **عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

28/ حسني عبد الوهاب حسن، **خلاصة تاريخ تونس، الفصل العشرون**، تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1945م، تكملة حمادي الساحلي.

29/ حسين محمد الخضر، **تونس وجامع الزيتونة**، دار الحسينية للكتاب، دمشق 2002م.

30/ حمدان محمد، **أعلام الإعلام بتونس 1860-1956م**، تونس، الشركة التونسية للفنون والرسم.

31/ خالد أحمد، **أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل**، الدار التونسية للنشر، 1979 م.

32/ خالد أحمد، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي**، الدار العربية للكتاب، 2001م.

33/ الخرفي صالح، **عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م.

34/ دبوز محمد علي، **من أعلام الإصلاح في الجزائر (1921-1975)**، دار السبل، الجزائر،2009م.

35/ الذوادي رشيد، **جماعة تحت السور**، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004 م.

36/ رحومة رشيد، **تاريخ الحركة الكشفية بتونس 1916-1956م**، منشورات وحدة الإعلام، تونس ط1، جوان 1984م.

37/ الساحلي حمادي، المنصف الشنوفي، **موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

38/ الساحلي حمادي، **فصول في التاريخ والحضارة**، دار الغرب الاسلامي، 1992م.

39/ الساحلي حمادي، **الصحافة الهزلية في تونس نشأتها وتطورها**، الدار التونسية للنشر، 1977م.

40/ سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م .

41/ سعدالله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**،ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

42/ السنوسي العابدين، **أبو القاسم الشابي حياته وأدبه**، دار الكتب الشرفية، تونس، 1956م.

43/ الشاطر خليفة وآخرون، **تونس عبر التاريخ** ج3(الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م.

44/ شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900 - 1956م** ،ج1، طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر2008 م.

45/ شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900 - 1956م**، ج2، طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر2008م.

46/ الشريف البشير بن الحاج عثمان، **أضواء على تاريخ تونس الحديث(1881-1924م)**، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

47/ الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر.

48/ الشيباني بن بلغيث، **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، مكتبة علاء الدين، تونس2008م.

49/ الصادق الرزقي، **الأغاني التونسية**، تونس، الدار التونسية للنشر، 1967م.

50/ ضيف الله محمد، **الطلبة التونسيون والمسائل الوطنية 1955-1956م** ضمن أعمال الندوة الثانية عشر، للمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2006م.

51/ ضيف الله محمد، **تراجم الناشطين في الحركة الطلابية التونسية 1910-1991م**، ط1، سلسلة البحوث الجامعية، منوبة.

52/ ضيف الله محمد، **في ظاهرة العنف الطلابين الطلبة الزيتونيون في فترة المقاومة العنيفة 1952-1954م**، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1995م.

53/ الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة**، ط2، دار المعارف.

54/ الطبابي حفيظ، **صراع الهوية، الزيتونه والزيتونيون في معترك النضال الوطني والاجتماعي**، أعمال الندوة الدولية 11 تونس 2003 م.

55/ الطويلي أحمد، **من تاريخ الصحافة التونسية والأمن الوطني، دراسات ووثائق**، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، 2012م.

56/ عادل بن يوسف، **النخبة العصرية التونسية**، تونس: دار الميزان 2006م.

57/ عبد السلام أحمد، **جمعية قدماء تلامذة الصادقية**، العدد2، تونس 1996م.

58/ العياشي مختار، **البيئة الزيتونية 1910-1945م، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية**، تع حمادي الساحلي، دار تركي للنشر، 1990م.

59/ الغربي محمد الأزهر، **تونس رغم الاستعمار**، ط1، تونس 1989م.

60/ فاسي مصطفى، **البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

61/ فروخ عمر، الشابي **شاعر الحب والحياة**، دار العلم للملايين، بيروت 1960م.

62/ القسنطيني الكراي، **الجمعيات بين التأطير والتوظيف**، تونس2009م.

63/ القصاب أحمد، **تاريخ تونس المعاصر، 1881-1956م**، تعريب حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس1986م.

64/ قنانش محمد وقداش محفوظ، **نجم الشمال الإفريقي(1926-1937) وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

65/ الماجري الحفناوي، **القصة القصيرة بين مرقون وتلخيص منشور**، مجلة الحياة الثقافية، عدد 39-1986م.

66/ مالكي محمد، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م.

67/ مجموعة من الباحثين، **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 1993م.

68/ محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994م.

69/ المرزوقي الحاج يحي محمد الجيلالي، **معركة الزلاج**، مكتبة المنار، تونس، ط1، 1961م.

70/ المرزوقي محمد، **الأعمال الكاملة، القسم الأول معارك وأبطال**، دار محمد علي للنشر، اليمامة، صفاقس، تونس، ط1، 2012م.

71/ المرزوقي محمد، **الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية، سلسلة أعلام تونس**، الدار التونسية للنشر 1971م.

72/ مناصرية يوسف، **الحزب الدستوري التونسي (1919 -1934م)**، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1980م.

73/ مناصرية يوسف، **الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 م**، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس 2002 م.

74/ المهيدي محمد الصالح، **تاريخ الصحافة العربية وتطورها بالبلاد التونسية**، تونس، 1965م.

75/ المهيدي محمد الصالح، **فصول في تاريخ الصحافة التونسية**، المطبعة التونسية الرسمية، تونس، 2009م.

76/ مواعدة محمد، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس 1974م.

***

فهرس المؤلفات الأجنبية

77/ AZZedine AZOOZ- - L Histoire ne pardonne pas Tunisie 1938- - paris – Tunis 1988

78/ Balek Rodd ¸ la tunisis apres la gurre¸ afrique¸ N 07 30 annes juillet- aout 1920

79/ Branicaid Michele; le maghreb ou coer des crises; imp des monsd du loyommais 1994

80/ MOHAMED AYACHI;Ecoles et Societes en Tunisie(1930-1958).these de Doctorat d etat en histoire sous la direction de Mr: Ali Mahjoubi.faculte des sciences humaines et sociales de Tunis 1997

81/ Machuel (L), L´Enseignement puplicenTunisie(1883-06)Tunis:1906

***

فهرس المجلات والدوريات والندوات

82/ إدريس الرشيد، **أربعة رسائل من المرحوم يوسف الرويسي**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد21-22، تونس، أفريل،1981م.

83/ أعمال الندوة الدولية الثالثة عشر، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، عدد13، ماي 2006م.

84/ بالعيد الحبيب، **تاريخ الحركة التونسية**، مجلة روافد، العدد التاسع 2004 م.

85/ الحفناوي الماجري، القصة القصيرة بين مرقون وتلخيص منشور، مجلة الحياة الثقافية، عدد 39-1986م

86/ حوليات الجامعة التونسية، **العدد2، جامعة منوبة، تونس، 1965 م**

87/ الساحلي حمادي، **جمعية قدماء الصادقية**، المجلة الصادقية، عدد2.

88/ علي العريبي، **الحاضرة أول جريدة بتونس، المجلة التاريخية المغربية**، عدد42-44، 1986م.

89/ مجلة الإصلاح، العدد 103، السنة الرابعة، مارس 2016م.

90/ مجلة الإلهام، السيدة بشيرة بن مراد، زعيمة الحركة النسائية التونسية ،جانفي 1956م.

91/ مجلة الندوة التونسية، تاريخ الحركة النقابية بتونس، العدد 12 السنة الأولى بتاريخ 05 ديسمبر 1953م.

92/ مجلة قصص عدد 4 جويلية 1967م.

* * *

فهرس المذكرات والرسائل الجامعية

93/ بلعجال أحمد، **الخطاب الاصلاحي عند الشيخ السعيد الزاهري** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر المتوسط، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م.

94/ اللولب حبيب حسن، **دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني(1860-1914م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،2000-2001م.

95/ معزة عز الدين، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة**، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة(1899-2000م)، أطروحة دكتوراء في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمة **01**

الفصل التمهيدي: الوضع السياسي والثقافي لتونس مطلع القرن 20 م

01- الوضع السياسي في تونس **07**

1-1 الشباب التونسي 07

1-2 أحداث الزلاج 09

1-3 واقعة الترامواي 10

1-4 نفي وتهجير القادة السياسيين 10

1-5 الحزب الدستوري الحر 11

02- ظهور الصحافة 14

2-1 مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى 14

2-2 مرحلة أثناء الحرب العالمية الأولى 16

2-3 مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى 16

03- الحركة النقابية **18**

04- النخبة التونسية والفرنسة **20**

4-1 تعريف النخبة 20

4-2 انتشار التعليم الفرنسي بعد فرض الحماية 21

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية ودورها في المجال الديني والتعليمي

01- الهيئات الدينية 30

1-1 جامع الزيتونة، النشأة والنضال ضد الاستعمار الفرنسي 30

02- التيار الصوفي في تونس 38

2-1 الطريقة التجانية 38

2-2 الطريقة القادرية **39**

03- المؤسسات التعليمية بتونس 40

3-1 المدرسة العليا للغة والآداب العربية 40

3-2 مركز دراسة الحقوق بتونس 40

3-3 المدرسة الصادقية 41

3-4 الخلدونية 42

3-5 جمعية قدماء تلامذة الصادقية 47

3-6 مدرسة البنات المسلمات 49

3-7 المدرسة العربية العصرية 50

3-8 المدرسة العرفانية 50

3-9 مدرسة قصيبة المديوني **51**

04- دور رجال الفكر والثقافة بتونس **52**

4-1 عبد العزيز الثعالبي 52

4-2 محمد البشير صفر 57

4-3 الحبيب بورقيبة 57

4-4 المنصف باي 59

4-5 المرأة التونسية: بشيرة بنت مراد أنموذجا 60

الفصل الثاني: دور الحركة الأدبية والفكرية في عملية التحرير الوطني

01- الحركة الأدبية التونسية 63

1-1 الشعر 63

1-2 النثر الأدبي 67

1-3 السينما والمسرح 68

1-4 القصة القصيرة والرواية 70

02- دور الجمعيات في الحركة التحررية 72

2-1 الجمعيات الأدبية 72

2-2 الجمعيات الكشفية 74

2-3 الجمعيات الرياضية 80

2-4 جمعيات المعارف والمدارس 82

2-5 الجمعيات المسرحية 84

الفصل الثالث: دور الصحف والمجلات والنخب خارج تونس في عملية التحرير الوطني.

01- الصحف السياسية 87

1-1 الحاضرة 87

1-2 الزهرة 87

1-3 الصواب 88

1-4 الرشدية 88

1-5 القلم 89

1-6 السعادة العظم 89
1-7 تونس 90
1-8 حبيب الأمة 90
1-9 المزعج 91
1-10 المرشد 91
1-11 الحقيقة 92
1-12 المنبر 92
1-13 العدلية 93
1-14 التقدم 93
1-15 المنصف 93
1-16 التسامح 94
1-17 مرشد الأمة 94
1-18 التونسي 94
1-19 النصر 95
1-20 صحيفة الاتحاد 95
1-21 صحيفة الإرادة 95
1-22 صحيفة الأسبوع 95
1-23 صحيفة الزيتونة 96
1-24 جريدة الصباح 96
1-25 جحا 96
1-26 النديم 97
1-27 الزهو 97

02- المجلات العلمية الثقافية 97
2-1 خير الدين 97
2-2 المعارف 98
2-3 المدرسة 98
2-4 الرزنامة التونسية 99
2-5 مجلة المباحث 99
2-6 ملحق جريدة النهضة 100
2-7 مجلة الندوة 100
2-8 مجلة الفكر 100
03- دور المهاجرين في النضال الثقافي 100
3-1 جمعية طلبة شمال إفريقيا 102
3-2 نجم شمال إفريقيا 102
3-3 تأسيس إذاعة إفريقيا 104
3-4 مكتب المغرب العربي في برلين 105
3-5 نشاط الوطنيين التونسيين بالقاهرة 107
3-6 رابطة العمل في سبيل قضية المغرب العربي 108
3-7 الدعم الجزائري للنضال الثقافي بتونس 109
الخاتمة 113
الملاحق 116
فهرس المصادر والمراجع 131
فهرس الموضوعات 140